
مصاص الدماء و
أسطورة الرجل الذئب

١ - ليـلة رهيبـة ..

كنت في ذلك الوقت شابًا في الخامسة والثلاثين من عمرى لا أعرف شيئاً عن عالم ما وراء الطبيعة وكنت أومن أن العلم قد عرف كل شيء .. كنت ساذجًا بالطبع ..

سافرت إلى بريطانيا لحضور مؤتمر أمراض الدم الذى يحضره نخبة من أساتذة هذا العلم فى العالم كله ، لكن كما هو معروف - ليست المحاضرات مشوقة إلى هذا الحد ، وقد قضيت فى ذلك اليوم أربع ساعات من أسود ساعات حياتى أصغى لكلام كثير عن سرطان الدم . وأنيميا البحر المتوسط .... و .... و ....

كان الأطباء الجالسون قد أصيبوا بذلك النوع من الملل والتعاسة والتجمد الفكرى الذى أوثر أن أسميه (ذهول المؤتمرات) ، كانوا جميعًا قد فقدوا الإحساس بظهرهم وأطرافهم . وتحولت أردافهم إلى جزء من المقاعد ، وبعضهم أخذ يزجى الوقت فى الحديث همسًا وهم يضعون أيديهم على أفواههم كتلاميذ المدارس ..

- شكـرًا ..

وللحظة لم يصدق هؤلاء البؤساء آذانهم لكن الرجل

كان قد انتهى بالفعل من محاضراته الطويلة ، من ثم تعالت تنهدات العرفان بالجميل ، وبدأوا يصفقون له شاكرين !

كان المحاضر كهلًا وسيمًا اسمه (ريتشارد كامنجز) قابلته فى مصر أكثر من مرة وانبهرت به بشدة ، كان شامخًا مهيبًا عصبيًا مغرمًا بالتاريخ والفن وكان يعشق تاريخ الفراعنة وكانت هذه نقطة تلاقينا ..

بعد المحاضرة قابلته ، وعلى الفور هش وبش لى وبدت السعادة على وجهه ، بل إنه صافحنى (وهو شىء غير معتاد من الإنجليز) ثم إنه سألنى عن رأيى فى المحاضرة فكذبت عليه فى كياسة قائلًا إنها رائعة ، دعانى إلى بيته الريفى فى (بوركشاير) ؛ لأننى – كما قال – إنسان متحضر وشديد الإخلاص للعلم ..

لهذا – وكما علمتنى التقاليد الإنجليزية الصارمة – وجدتنى أجتاز مدخل حديقة البيت الإنجليزى الجميل فى تمام السابعة مساء .. وكان القمر يرخى ضوءًا هادئًا رقيقًا على غصون اللبلاب المتدلية فوق سقف البيت المنحدر ، وفى الحديقة كنت تشم روائح غير مألوفة لزهور لا تعرف اسمها ..

وفى الداخل كان البيت أنيقًا بسيطًا ، بيت أسرة كاثوليكية متدينة .. وفى قاعة الجلوس كانت هناك

مجموعة كبيرة من الصلبان الأثرية ، ولوحة كبيرة للعشاء الأخير ، وكانت زوجته فى منتصف العمر مهذبة رقيقة ، أما ابنته كاترين فكانت مراهقة لكنها أكثر تعقلًا من سنها ..

وأدركت كم هم متدينون حين تلوا قبل العشاء صلاة المائدة ، من ثم شعرت بالخجل من نفسى لأنى نسيت البسملة على الطعام قبل أن أبدأ الأكل .. تمتمت أن بسم الله أوله وآخره ، وشرعت أملأ بطنى من الأصناف جميلة المنظر، شنيعة الطعم ، التى عرف بها المطبخ الإنجليزى فى أوروبا كلها ..

بعد العشاء – وفى حجرة المعيشة المريحة – جلس د . ريتشارد جوار المدفأة يدخن غليونه ويرشف القهوة فى استمتاع وقد بدا لكلينا أن الحياة لن تكون أبدًا أروع مما هى عليه الآن ..

قال د . ريتشارد : كيف تشعر وأنت من سلالة الفراعنة هؤلاء العباقرة ؟

ابتسمت ولم أدر بماذا أرد ، فغمغمت : .. بالندم وبالحسرة لأنى لم أحفظ حضارتهم وكل ما اكتشفوه ..

أحيانًا يخيل لى أنه لم يعد هناك ما يمكن اكتشافه بعد كل ما اكتشف حتى اليوم ..

أعتقد أن زمن (الكشوف) قد ولى وبدأ زمن (التطوير) .

وهنا يبدأ دور رجل علم مثلى يؤمن بعلم ما وراء الطبيعة ويؤمن أن كل أسطورة لها أصل ما لم يحاول القدماء أن يتوقفوا عنده ، وهكذا نفتح أبوابًا جديدة ..

وجال ببصره فى الحجرة الخالية .. ثم همس :

– خذ عندك أسطورة الكونت دراكيولا ..إن أحدًا لم يحاول أن يتأمل فيها .. ، كانوا يبحثون فى الكهرباء والموجات الكهرومغناطيسية والانشطار النووى والمضادات الحيوية فلم يتوقفوا عند هذه الأسطورة أبدًا ، هنا يأتى دور رجل علم مثلى يؤمن أن هذه الأسطورة لم تأت من فراغ ويتوقف لحظة عندها ..

هناك شواهد تاريخية عديدة ومريبة .. الدم هذا السائل الأحمر الغامض رمز الحياة والموت معًا .. خذ عندك طقوس شرب الدماء فى الهند .. المومياوات ذات الأنياب التى وجدوها فى الصين ، ومآدب أهل أسبرطة التى كانوا يحتسون فيها الدم الممزوج بالخل والتوابل ، ودماء السلحفاة البحرية التى يشربونها لعلاج الروماتيزم فى جامايكا ..

وكتب السحر فى العصور الوسطى ، وكلها تتحدث عن طرد مصاصى الدماء كقضية مسلم بها ..

وهنا نبدأ – بمرونة فكرية – نجزم أنه فى وقت ما ، فى مكان ما ، تواجدت مخلوقات كابوسية تعيش على الدماء مثل دراكيولا ..

– آوه !

كان هذا هو صوت كاترين .. وكانت قد دخلت الحجرة لتوها فسمعت آخر جملة ، وسرعان ما اعتذرت بأنها ترغب فى الصعود لحجرتها ..

قال د . ريتشارد :

– هكذا أفضل .. هناك أشياء لا يجب أن يقولها المرء أمام النساء ..أنت تفهميننى ..

واتجه نحو النور الكهربائى وأطفأه ، فساد الظلام الحجرة فيما عدا نور المدفأة الهادى الخافت .. ، وقال بطريقة درامية مؤثرة .

– هكذا يكون الجو مناسبًا لهذه الأحاديث الرهيبة !!

أحسست بالرجفة تسرى فى ظهرى ، وكان منظر لهيب المدفأة يذكرنى بالمشوار الذى ينتظرنى بعد هذه الأمسية فى العودة للفندق .. البرد والخوف ..

توقف د . ريتشارد أمام إحدى اللوحات المعلقة يتأملها على ضوء المدفأة المتراقص ، وهمس :

– لقد بحثت وبحثت سنوات طويلة مع أحد رفاقى من علماء التاريخ .. واليوم أستطيع أن أقول إننا برهنا بالدليل

المادى على وجود الكونت دراكيولا ..

دوت الكلمة الكابوسية فى الظلام فأجفلت لها فى مقعدى ، والواقع أن د . ريتشارد كان مخرجًا مسرحيًا رائعًا ..

القصة كما يعرفها كل الناس هى قصة ذلك الكونت الذى عاش فى ترانسلفانيا فى القرن الرابع عشر .. كان شريرًا بكل ما فى الكلمة من معان ، ولكنه لم يكن من الموتى الأحياء .. إلا أن كاتبًا نشطًا أسماه (دراكيولا) أى الشيطان ، وخلده « برام ستوكر » فى قصته الشهيرة التى لم يزل الناس يرتجفون منها حتى اليوم .. ثم السينما العالمية .. «فنسنت برايس .. لون شانى» ليكملوا الصورة ..

اليوم أقول أنا : إن (دراكيولا) وجد فعلًا كما صورته القصص دون أية مبالغة ..

* * *

٢ ـ خادم الكونت ..

قلت فى حماسة :

ـ « لكن كلينا رجل علم ، وكلينا يعرف أن مالا يرى ولا يُسمع ولا يُشم ولا يُعقل ، هو ببساطة غير موجود .. » . ابتسم د . ريتشارد فى ثقة .. ثم اتجه نحو خوان فى ركن الغرفة وفتح درجه وأخرج ظرفاً ممتلئا ناوله لى ،وقال :

ـ اقرأ هذه الأوراق قبل أن تتحدث عن العلم ..

قبل أن أرد دخلت علينا (مسز كامنجز) باشة الوجه .. وبانجليزية حاولت أن أجعلها راقية شكرتها على العشاء .. ثم بدأنا حديثًا عن الطقس .. ثم أطريت بيتهم وأبديت إعجابى بلوحة العشاء الأخير المعلقة .. فشرعت تشرح لى قصة اللوحة ونظرات الدهشة المرتسمة على وجوه الحواريين ... و ... و ...

ـ هل تعلم سر تشاؤم الغربيين من سقوط الملح على المائدة ؟

فهززت رأسى معترفًا بجهلى .. قالت :

ـ لأن (يهوذا) الخائن مرسوم فى اللوحة وقد انسكب الملح على المائدة أمامه ..

هل ترى وجهه ؟ هذا وجه ارتسمت عليه كل خطايا

البشر .. إنه خاضع للشيطان لكنه مستسلم لهذا ولا يجد سبيلا آخر ..

كنت فى هذه اللحظة قد دخلت فى عالم اللوحة لكنى كذلك كنت أفكر فى المسافة الطويلة التى تفصلنى عن الفراش الدافئ وقراءة هذا المظروف الذى أحمله ..

وحين عدت للفندق تمددت فى الفراش وتـأملت المظروف الذى أعطانيه د . ريتشارد ، وكان مليئا بأوراق قديمة وصور فوتوغرافية ..

كانت إحدى الصور لقصر أثرى غريب ، وأخرى لتابوت رخامى مغلق ، ثم صورة لشىء لم أفهم ما هو ، ثم صورة للوحة زيتية تمثل رجلا ملتحيًا طويل القامة .. أما قطعة الورق الصفراء المهترئة فكان بها خريطة مرسومة بحبر أسود لقصر مجهول به سراديب سميت بأسماء سلافية لم أعرف حتى كيف أقرؤها ..

ألغاز كثيرة جدًا ..

أخيرًا ورقة بالإنجليزية ـ بخط د . ريتشارد ـ تقول :

« لقد بحثنا شهورًا فى سراديب قصر (الكونت دراكيولا) فى ترانسلفانيا ، وهو الذى منعت السلطات السياح من زيارته لأنه آيل للسقوط فى أكثـر من موضع .. ، وأخيرًا وجدنا الخريطة المرفقة التى دلتنا على توابيت عائلة الكونت فى سرداب قديم مليء بالأتربة والوطاويط ...

وقد فتحنا التوابيت كلها حتى وجدنا مومياء الكونت وعلى صدرها وجدنا صندوقاً عاجيًا فيه رسالة كتبها خادم الكونت للأجيال القادمة :

ـ أكتب هذه الرسالة لمن يأتون بعدى كى أحذرهم من خطر داهم شنيع ، لقد اختار الشيطان هذه المنطقة التعسة مهدًا له ..

إن (دراكيولا) هو أول مصاص دماء يولد فى هذا البلد ، إن سيدى الكونت معروف بين الفلاحين بقسوته وطغيانه واستخدامه جيشًا من المرتزقة لفرض سلطانه ، كل هذا جعلهم يسمونه (الشيطانى) أو (دراكيولا) ..

بدأ الكونت فى كل مساء يشرب مزيجًا لعينًا من دم الخنازير والنبيذ والتوابل بدعوى أنه يعيد الشباب ، وبدأ يدرس السحر الأسود .. ويزداد انعزالاً وغرابة ..

لقد بدأ وجهه يستطيل وصوته يأخذ نبرة عواء الذئب فى الليالى المقمرة ، وصار يخرج فى المساء ويعود فى الفجر وينزوى بالساعات فى بدروم القصر وحيدًا .. بل إنه لم يعد يأكل ..

وفى كتب السحر وجدت تفسير حالته .. إن هذا المزيج الذى يشربه يقود إلى الخلود بأشنع الطرق .. إنه يحيل من

بدمنه إلى خفاش بشرى يتغذى بدماء البشر ليلًا وينام فى تابوت نهارًا ويموت إذا رأى ضوء الشمس ..

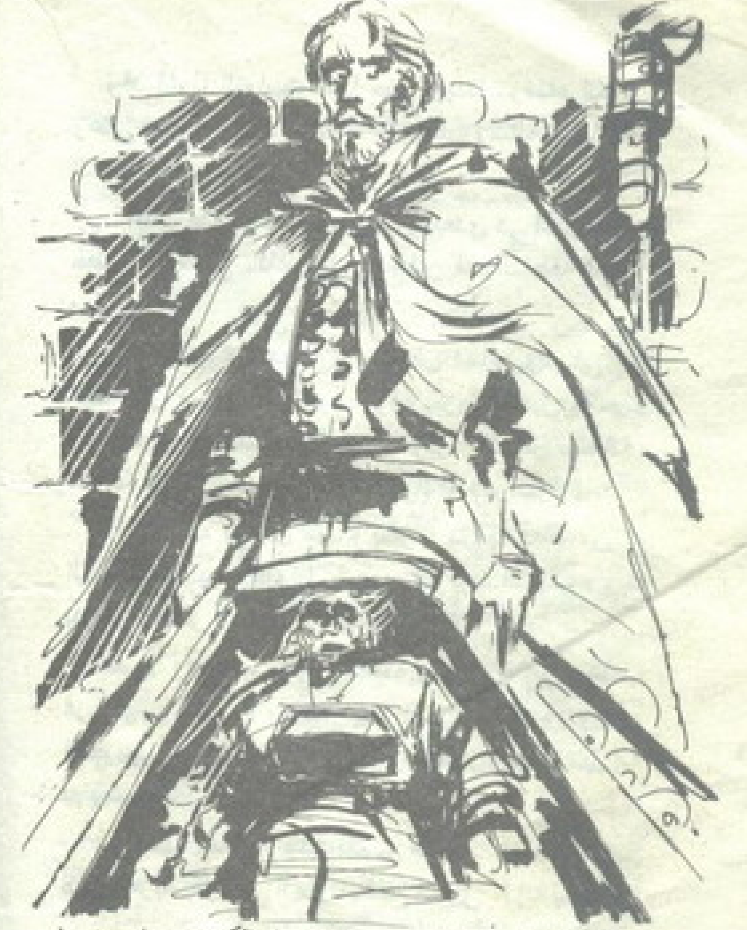
وكان لابد أن أعرف ..

صباح اليوم التالى استجمعت شجاعتى ونزلت بدروم القصر حيث توابيت أسرته ، وكانت رائحة العطن تملأ المكان ، والفئران تمرح فى حرية تامة ، وفى تابوت رخامى وجدت ما كنت أبحث عنه (هذا الجزء غير واضح فى المخطوط) لاتنفس .

ووجهه شاحب شحوب الموتى وعلى شفتيه قطرات من دماء لم تجف بعد ، وعيناه مفتوحتان تحدقان فى لاشىء ..

اقتربت من شفتيه واستجمعت شجاعتى وفتحتها .. فوجدت صفين من الأسنان الدقيقة المدببة كأسنان الضوارى ، انتابنى ذلك الرعب المجهول الذى يشلّ العقل تمامًا .. جريت فى هلع وقد تسلطت علىّ فكرة واحدة : الهرب .. لاأدرى لأين .. ونسيت أن أعيد غلق التابوت ..

إذن غدا الكونت مصاص دماء ، وصار عالة على نفسه وعلى الآخرين ، إذن كان أهل القرية محقين حين كانوا يرسمون الصليب حين يمرون بالقصر ، وإذن كان هذا هو



وقد فتحنا التوابيت كلها حتى وجدنا مومياء الكونت وعلى صدرها وجدنا صندوقًا عاجيًا ..

سر جثة المتسول العجوز التى وجدوها قرب القصر ملقاة على الكلأ وفى عنقه ثقبان أحمران ..

لهذا نزع الكونت الستائر البيضاء والأيقونات ، ولهذا كان ذلك العواء الذى يهز القصر فى الليالى القمرية .. ولهذا .. ولهذا .

عدت لكتب السحر أقرؤها ، إن مصاص الدماء كابوس .. ومن واجبى أن أجد أنا دواء لهذا الكابوس خاصة أنه لم يمتص دمى بعد ربما لحاجته إلىّ .

إن قتل مصاصى الدماء أمر سهل ، فهو يموت من أى رمز دينى .. إنه مخلوق رمزى ، وجوده رمز ومصرعه يتم بالرموز ، الضوء واللون الأبيض والفضة والكتب السماوية كلها تقتله ، لكن الطريقة الفعالة هى وتد من الخشب يدق فى صدره ؛ ثم تتلى صلاة الموتى عليه ، وتحذر كتب السحر من أنه : كما أن مصاص الدماء رمز فموته رمز ، إنه يعود للحياة مرة كل مائة سنة ليعيث فى الأرض فسادًا ، ثم إنه بعد أن ينشر الرعب والموت يقتل على يد إنسان لم يتلوث ... و ...

وهنا أحسست بشىء غير عادى فى الحجرة .. رفعت رأسى فوجدت الكونت (دراكيولا) واقفًا على رأسى يسد الباب وهو يبتسم ابتسامة صفراء رهيبة ، لقد جاء الليل دون أن أدرى وحين نهض وجد غطاء التابوت مكشوفًا وأدرك أننى فهمت !

ونظرت إليه فى هلع ..

لم يعد وجهه يمت بصلة للوجه الذى عرفته .. ناباه القطيعان .. بشرته الشاحبة المتجعدة .. رائحة الكبريت التى تتحدث عنها كل كتب السحر ، تحرك أمام المرآة فلم أجد له صورة ، حتى الشمعة لم تترك له ظلًا على الحائط ..

صرخت : يا إلهى .. أنقذنى !

أجفل .. وتراجع لحظة .. فجريت للباب كما لم أجر فى حياتى إلى غرفتى .. أغلقت الباب بالمفتاح ، وعلى الفراش أغمى علىّ ، وكان آخر ما رأيته هو مقبض الباب يتحرك ، لكن الباب كان مغلقًا ..

نعم .. صار الكونت هو خليفة الشيطان فى الأرض ، إنه مريض وهو يعلم ذلك ، ولقد قررت أن أريحه ..

سأقتله اليوم ، كتب السحر قالت إنه سيموت على يدى رجل لم يتلوث .. وأنا هو ذلك الرجل ، أنا القاضى والمدعى والجلاد معًا ، سأنزل إليه بالخنجر الفضى والثوم وقبل كل شىء . بإيمانى ..

ولئن كنت ملوثًا ولقيت مصرعى فليعلم من يجد هذه الرسالة ما علمته أنا ولينتظر عودة الكونت كلما مرت مئة عام ، ولينتصر من هو منا على حق .

خادم الكونت / جيسيب ميخائيل

فى عام الرب ١٥٥٩

بعد نهاية الرسالة وجدت تعليقًا صغيرًا بخط د . ريتشارد يقول : إنهما وجدا مومياء الكونت وعلى صدرها هذا التحذير للأجيال القادمة ، وأن هذا يعنى أن الخادم وُفق فى مهمته ..

انتهت المذكرات ..

أغلقت مفتاح الأباجورة وأغلقت عينىّ لأريحهما فى الظلام .. إذن فهذه الخزعبلات هى ما يشغل ذهن العالم العظيم .. وكل هذا الكلام الأبله الذى يقولونه فى أفلام الرعب الرخيصة عن الهنود والأرسبرطيين ومومياوات الصين ... هراء ...

ومضيت أسلى نفسى بمحاولة تخيل شكل الشر فى العالم .. غول أحمر العينين .. أخطبوط له ستة أذرع .. لم أستطع .. ولسبب لا أدريه لم تفارق ذهنى صورة وجه يهوذا فى لوحة دافنشى .. النظرة التعسة الآثمة .. نظرة الخاطئ الذى لا يملك سوى أن يخطئ ..

ولم أدر كيف ، ولا متى غرقت فى سبات عميق ..

* * *



بعد نهاية الرسالة وجدت تعليقًا صغيرًا بخط د. (ريشارد) يقول :
ـ إنهما وجدا مومياء الكونت وعلى صدرها هذا التحذير للأجيال القادمة ..

٣ ـ المومياء ..

فى اليوم التالى وبعد انتهاء جدول أعمال المؤتمر لهذا اليوم، قابلت د . ريتشارد فى كافتريا المؤسسة، يرشف القهوة ويدخن .. حييته وقد بدا لى أن الليلة السابقة كانت مجرد شىء سخيف .. وبعيد جدًا ..

قلّب د . ريتشارد الكريمة، على سطح فنجانه، ثم سألنى :

ـ قرأت الأوراق ؟

ـ نعم ....

ـ وما رأيك ؟

صارحته برأيى فى الموضوع كله، فالتمعت عيناه غضبًا ووضع فنجانه فى الطبق :

ـ خزعبلات ؟! أنت تظن أننى وواحد من أعظم علماء التاريخ فى أوربا كنا ضحية خدعة قذرة لفقها لنا أحد الظرفاء .. حسنٌ .. لقد كلف هذا الظريف نفسه ما لا يطيق وأعدّ كل هذه الأوراق ، وأعد المومياء وانتظر سنوات عديدة حتى يخطر لأبله مثلى أن يبحث فى هذا السرداب حتى يجد هذه الأشياء .. يا لها من دعابة !

ـ ليس هناك مايثبت رأيى لكن ليس هناك ما ينفيه .

هزّ رأسه فى ضيق ، ثم عاد لبروده الموروث وقال :

ـ أريد منك أن تأتى إلىّ هذه الليلة .. هناك شىء جديد أريد أن تراه .. نفس الموعد ..

مرة أخرى على العشاء أجلس أمام نظرات يهوذا الآثمة ، على الناحية الأخرى من المائدة يجلس البرفسور « ماكس لوفارسكى » وهو ـ كما عرفت أنت ـ يهودى لم يكف لحظة عن الحديث عن ما عاناه فى معتقلات النازيين ، لماذا خلق الله العلماء مملين إلى هذا الحد ؟

بعد العشاء التفت إلىّ د . ريتشارد ، وقال :

ـ إن ما سأريه لك الآن هو خلاصة بحث سنوات من عمرى أنا والأستاذ (لوفارسكى) ، لا أطالبك أن تقتنع ، لكنى أطالبك ـ وهذا من حقى ـ بالاحترام لكل ما ستراه، أضف لهذا أن ما ستراه هو سر سيظل طى الكتمان ..

نطق العبارة الأخيرة بلهجة مرعبة تعمد الضغط على كلمة (سيظل) فشعرت بالرهبة ، وقلت :

ـ أعدك بهذا ..

نهضت معهما إلى القبو ـ قبو البيت الإنجليزى الأنيق حيث رائحة الخمر المعتق والعطن ورائحة شىء ما لم أستطع أن أحبها .. أزاح د . ريتشارد الخيش عن صندوق مغلق فى أحد الأركان .. وفتحه ثم هتف بلهجة مسرحية :

ـ أيها السادة .. ها هى ذى مومياء الكونت دراكيولا ..!

من العدل أن أقول إننى لم أشعر برهبة ولا فضول ولا شيء على الإطلاق .. بل ظللت محتفظًا بتعبير رجل العلم الذى لا (يندهش) من شيء ولكن (يهتم) به .

كانت مومياء عادية لها كل مزايا وعيوب أية مومياء أخرى .. جلد متآكل .. خصلات شعر متناثرة .. أنف مجدوع .. شيء واحد كان مختلفًا .. الأسنان .. ، لماذا كانت فى فك هذا الشيء تلك الأنياب الحادة الشبيهة بأنياب الذئاب ..؟

ابتسم د . (كامنجز) فى تشفٍ .. وهمس :

- ما رأيك ..؟

لم أرد بل سألت (لوفارسكى) :

- كيف استطعتم إحضاره هنا ؟

- لقد نجحنا فى تهريبه بوسائل معقدة على أنه شحنة أدوات حفر ، والسلطات فى ترانسلفانيا لا تعرف حتى بوجوده هنا .. لهذا لم تبحث عنه أصلاً ..

أشعل د . (ريتشارد كامنجز) عود كبريت وقربه من المومياء .. فجأة انطفأ .. فهتف :

- « هل ترى ؟ ثمة غاز خامل يتصاعد من هذه المومياء.. » لم أستطع أن ابتلع كل هذا .. لكنه واقع .. أمامى الآن الدليل الحى على خطأ الافتراضات العلمية وعلى وجود السحر ، وعلى قابلية كل الأساطير للتصديق وعلى ...

سألت د . (ريتشارد) :

- لكن لماذا تضيعون كل هذا الوقت والمجهود ؟

- الحقيقة ..

قالها د . (ريتشارد) فى بساطة .. واستطرد :

- الحقيقة التى ستهب العلم مرونة لا تقاس ، تكفى لاستيعاب الأساطير وكل معتقدات الشعوب البدائية وتحدث انقلابًا لم يشهد له العالم مثيلاً ..

إننا نقف الآن أمام الدليل الحىّ على وجود السحر ..

صعدنا لحجرة المعيشة بعد دقائق ، وجلسنا فى صمت حول مجموعة من المستندات القديمة ..

قلت فى حيرة :

- لم أفهم بعد .. ما السر فى إطلاعى أنا بالذات على هذا ؟

- أنت مسلم يا د . (رفعت) ..

- نعم ..

- وأنا كاثوليكى و د . (لوفارسكى) يهودى ، وهذا سيجعل شهود المعجزة هم نماذج لثلاثة أديان ..

- أية معجزة ؟

- عودة دراكيولا ..

* * *



إنه كان يقتل فى كل مرة .. ويعود لصورة المومياء التى نراها .

٤ ـ طقـوس ..

مدّ د . (ريتشارد) يده إلى الأوراق وفتح إحداها وشرع يقرأ :

ـ تقول المستندات إن مصاص الدماء يعود للعالم كل مائة عام لنشر الفساد والشر ، ثم يموت على يد شخص لم يتلوث ..

وهنا قال د . (لوفارسكى) عابثًا بلحيته :

ـ إن لدينا شواهد تاريخية على ظهور مخلوقات لها صفات مصاص الدماء والعثور على جثث رقبتها مثقوبة فى الأعوام ١٧٥٩ و ١٨٥٩ ، وبشكل أكثر تحديدًا فى الليالى المقمرة التى يتوازى فيها المشترى مع المريخ ، ويمكن القول إنه كان يقتل فى كل مرة .. ويعود لصورة المومياء التى نراها .

ـ وهل كان يعود من تلقاء نفسه ؟

قال د . (لوفارسكى) :

ـ كلا .. بل بمعونة بعض الأوغاد الذين يؤدون بعض الطقوس اللازمة للبعث .

وهنا بدأت أفهم .. كنا فى العام ١٩٥٩ .. أى أن هذا هو العام المنتظر السعيد .

وفتح د . (ماكس لوفارسكى) ورقة صفراء وشرع يقرأ :

- أول الطقوس هو أن يؤديها أشخاص بلغ منهم الشر كل مبلغ ... أى نحن ..!
قال د . (ريتشارد) :
- إننا عبيد الفضول العلمى، وكلنا على استعداد لعمل أى شيء من أجل الحقيقة ... إن العلم هو ما نحيا من أجله ..
- ثانى الطقوس هو شرط القرن . أى أن تكون مائة عام قد مرت على مصرع الكونت ..
- ثالث الطقوس هو شرط القمر . أى أن يكتمل البدر ويتوازى المشترى مع المريخ ..
الشرط الثانى أو الثالث سيتحققان بعد أسبوع . ليلة الأربعاء ..
الشرط الرابع هو شرط الوطواط .. يجب أن يوضع على صدر الجثة مومياء وطواط وهذا ليس صعبًا .
الشرط الخامس هو شرط الدم .. بحيث أن يوضع دلو من الدم بجوار المومياء .
- دم بشرى ؟
- لم يحدد النص ذلك ..
وهنا لاحظت شيئا .. التمعت عيناى فى فخر كأننى طفل فاز فى لعبة المساكة ، وصحت :
- لحظة من فضلك .. التاريخ يحكى أنه - فى كل مائة عام - كان بعض الأوغاد يجدون التابوت ويمارسون نفس

الطقوس، فكيف تأتى أن التابـوت لم يزل فى نفس المكان، والرسالة لم تزل حيث يتركها الخادم منذ خمسة قرون ؟
احمر وجه د . (ريتشارد) فترةً ، ثم همس فى استسلام :
- لقد فاتنى التفكير فى هذا بالفعل ..
قال د . (لوفارسكى) :
- لربما فكر من يقتل الكونت فى كل مرة أن يترك الرسالة فى موضعها للأجيال القادمة ؟
- ولماذا يحرص من يقتل الكونت على إعادة جثته للتابوت فى كل مرة ؟ لماذا لا يدفنها فى أى مكان ؟ لماذا لا يمزقها أو يحرقها ؟ لم أعرف أن قتلة مصاصى الدماء منظمون إلى هذا الحد ؟
ساد الصمت للحظات وأدركت - فى فخر - أن الرجلين يكرهاننى فى جنون، لكن هذا هو العلم ، وهما يعرفان هذا خيرًا منى ..
قال د . (ريتشارد) بعد تفكير :
- حسن يا د . (رفعت) . إننا مصممان على التجربة، والتى لم يبق لها سوى أسبوع ، فإذا لم تقبل فعلى الأقل قل ذلك الآن حتى يتسنى لى أن أجد عالمًا أثق به من الجالية المسلمة فى إنجلترا .. الوقت ضيق كما ترى ..
من أنا حتى أرفض أمرًا كهذا ؟ ستكون ليلة الأربعاء

ليلة مثيرة بكل المقاييس ... ، هكذا قلت لنفسى .. كنت ساذجًا كما قلت لك ...

ـ إذن فلنبدأ .. الوقت ضيق كما قلت أنت ...

لم يكن هناك أى شىء يقنع العالمين سوى التجربة فى ذاتها ، وكنت واثقًا من نفسى أننى بدأت أعد عبارات العزاء التى سأقولها لهما حين تشرق شمس يوم الخميس والمومياء لم تزل كما هي ـ مومياء ـ يا لها من لحظة !. لحظة يعرف كل منهما أنه أضاع عمره يطارد وهمًا .. يا للحسرة .. !

كان الأمر واضحًا فى ذهنى تمامًا .. هذه مومياء قام أحدهم بنشر أسنانها لتبدو كالأنياب وستظل كذلك ، لا أرى الموضوع على أى ضوء آخر .

فى الصباح جاء (جوناثان) صبى البقال بلفة صغيرة اتضح أنها خفاش ميت اصطاده من الكنيسة المهجورة المجاورة ، وأخذ جنيهين كاد يطير بهما فرحًا ..

وجلست أنا و د . (ريتشارد) نحنط الخفاش فى الحديقة مستعملين الفورمالين .

ـ لنفرض أننا لم نستطع السيطرة على دراكيولا حين ينهض . فماذا نفعل ؟

قال د . (لوفارسكى) :

ـ إذا نهض ، لقد كان مفزعًا فى العصور الغابرة .. عصور الشمعدانات والعربات التى تجرها الخيول

والكونتيسات ... الخ ، لكنه اليوم سيعود فى عصر انشطار الذرة والكهرباء . لن يكون سوى مجرد حيوان تجارب طريف ..

قال د . (ريتشارد) :

ـ سنقوم بنقله إلى معمل مظلم فى جلاسجو ونقيده هناك ، ثم ندرس كل شىء ... تركيب دمه ... أنسجته ... ضغط دمه ... درجة حرارته ، وإذا مات سنشرحه .. لربما أتى اليوم الذى نعقد له فيه مؤتمرًا صحفيًا أو ننشر مذكراته فى كتاب اسمه (عشت فى تابوت) يحطم مبيعات السوق !

قلت :

ـ إن هذا المسخ محظوظ جدًا ... لكن أتمنى لو عدت للحياة بعد مائة عام لأرى حال السياسة والعلم والمجتمع والناس وقتها ..

فاحت فى المكان رائحة لاتطاق لأحشاء الخفاش اللعينة ، واستمررنا فى عملنا على مضض .

ـ اللعنة ..؟ فهمت الآن لماذا لايبعث مصاص دماء إلا كل مائة عام ..

ثلاثة علماء يعملون فى صبر من أجل إثبات وهم ...

* * *

٥ ـ شىء مَا ..

جلست فى حجرتى المريحة التى أعطانيها د . (ريتشارد) فى بيته الريفى الجميل .. كنت قد غادرت الفندق من ثلاثة أيام ، لكنى تركت هنالك أمتعتى لسبب ما ، لم أدر ما هو ..

شعور غامض فى أعماقى جعلنى أترك جزءًا من ذاتى خارج جدران هذا البيت .

أشعلت سيجارة وشرعت أفكر .. ما الذى جعلنى أقحم نفسى فى هذه القصة ؟ .. إنه ذلك الولع المجنون بالمجهول .. تلك اللذة الحريفة الكامنة فى قصص جدتى عن الغولة والنداهة ، وكنت أتساءل : كيف تبدو هذه المخلوقات ؟ ! .. ولماذا!

اختار الفلوكلور الشعبى لها صورة الأنثى .

ثم كبرت وبدأت أذهب للسينما .. وشاهدت (لون شانى) ـ ذا الألف وجه ـ (وفنسنت برايس) يلعبان دور الكونت الغامض شارب الدماء .

لكم فتنتنى شخصية (دراكيولا) .. ولكم حيرتنى .. ولكم أفزعتنى !

واليوم .. هأنا ذا قاب قوسين من حقيقة هذا الكابوس ، بل إن ـ صدق أولا تصدق ـ مومياء هذا الكونت ترقد فى

بدروم البيت الذى أنا فيه الآن ! .. بل إن موعد استيقاظها هو بعد ثلاثة أيام لا أكثر ! ماذا سيقول أصدقاء طفولتى فى (المنصورة) لو عرفوا ما أنا فيه الآن ؟

الآن كل شىء معد .. دلو دم الخنزير .. الخفاش المحنط .. ورفقة اثنين من العلماء حادى المزاج لا يهمهما سوى العلم أيا كانت نتائجه الوبيلة .

أضأت الأباجورة فوجدت جوار السرير مجموعة كتب ، وعلى السطح كانت رواية (برام ستوكر) الشهيرة (دراكيولا) ، لابد أن د . (ريتشارد) تعمد وضعها جوار سريرى لجعلى أعيش فى (الجو) ..

أطلقت سبة فى سرى ثم فتحت الرواية وبدأت أحداثها تجرفنى .. يا للخيال المروع العبقرى المريض .. ! لكم أحسد مؤلفها .

كنت قد وصلت للجزء الذى يدخل فيه الكونت على ضيفه الغافل موثق العقود (جوناثان هاركر) وهو يحلق ذقنه .. وهنا يفكر الموثق : كيف لم أر هذا الرجل فى مرآة الحلاقة ؟ .. وتتصلب عينا الكونت على جرح فى عنق موثق العقود نجم عن الحلاقة .... و ....

كنت قد وصلت لهذا الجزء حين دق الباب فأجفلت .. ثم عدت لعالم الواقع ، فنهضت للباب وفتحته ، كان القادم هو د . (ريتشارد) ..

ـ هل نمت ؟
ـ من الواضح أننى لم أفعل ..
نظر إلى الرواية على الفراش .. وضحك :
ـ إذن أنت تستعد لضيفنا ؟
ضيفنا ؟ .. قلت فى حنق :
ـ تبًا لها من راوية !
ـ وماذا تعلمت منها ؟
ـ تعلمت ألا أحلق ذقنى أمام (دراكيولا) لئلا أجرح نفسى ، وعندئذ ..
ـ وماذا أيضاً ؟
ـ تعلمت ألا أثق بالأشخاص الذين لاتنعكس صورتهم فى المرآة ! ..
انفجر د. (ريتشارد) يضحك ..! كان يرتدى الروب وتحته قميص وربطة عنق ، وقد بدا غاية فى الأناقة والوسامة ، ثم أنه أشعل سيجارة ـ ولم يقدم لى واحدة كعادته ـ وجال بنظره فى أرجاء الغرفة .
ـ لماذا لاتضع بعض الآيات القرآنية هنا وهناك ؟
أشرت إلى الكومودينو بجوار الفراش ، إلى المصحف الصغير الذى أعطتنى إياه المرحومة أمى قبل أول سفر لى بالخارج .



وهنا يفكر المؤلف : كيف لم أر هذا الرجل فى مرآة الحلاقة ؟..

- ها هو ذا .. لكن بغرض القراءة وليس لحمايتى من مصاص دمائك ..

هزّ رأسه مؤيدًا .. ونهض فى تثاقل متجهًا إلى الباب مارًا أمام المرآة المزخرفة المعلقة... لا ! .. لابد أننى متوتر الأعصاب .. هل المرآة غير مصقولة أم أن الإضاء غير كافية ؟ أم أن هذا الرجل لايعكس ظلًا فى المرآة بالفعل ؟!

التفت لى فى اهتمام وسأل :

- ما سر هذا الهلع على وجهك ؟!

هل أصارحه ؟.. كلا .. كلا .

- لاشىء .. إنه مفعول روايتك لا أكثر .

فكر قليلًا ثم قال :

- . (رفعت..) هناك شىء هام ..

- ما هو ؟

- شىء أريد عمله ولا أريد للدكتور (لوفارسكى) أن يعلم به ، هل تعدنى ؟

- أعدك ..

- إذن اتبعنى إلى البدروم بعد عشر دقائق ..

وألقى سيجارته وانصرف فى تؤده .

بمجرد أن خرج أغلقت الباب وهرعت للمرآة .. إن صورتى واضحة فيها ، ولكن .. ما أكثر الألاعيب

الضوء !. رب زاوية انكسار كاملة تحيل الماء إلى مرآة ، فلماذا لا تتحول المرآة - فى زاوية ما وإضاءة ما - إلى سطح غير عاكس ؟ ..

وحتى إذا لم تعكس المرآة صورته ؟ .. ما معنى ذلك ؟ .. أنا لا أومن بالأشباح .. وحتى إذا طبقنا منطق الخرافة نفسها فلا توجد أى ضرورة لهذه الزيارة ، ولم يستتبعها شىء ..

لماذا يريد د . (كامنجز) لقائى فى البدروم ؟ .. طبعًا ليس للعب الورق ولا لمشاهدة مجموعة طوابعه .. وبالطبع ليس لامتصاص دمى ، لأنى لا أومن بكل هذا الكلام الفارغ ..

ما الذى يريده من مومياء (دراكيولا) ؟ .. ما الشىء الذى لا يريد أن يعرفه د . (لوفارسكى) ؟ !

على كل حال مضت العشر دقائق ..

ارتديت الروب وخرجت من باب الغرفة قاصدًا البدروم .. ظلام الردهة وبقايا العشاء على المائدة لم ترفعها مسز (كامنجز) بعد .

باب غرفة د . (ريتشارد) يفتح فى بطء ..

- د . (رفعت) ؟

- نعم ..

لاحظت أنه يتكلم بصوت عال .. فخفضت صوتى فى همس كالفحيح :

ـ والآن هيا ..

ـ هيا ماذا ؟

ـ البدروم ..

ـ البدر .. هل أنت بكامل قواك العقلية ؟ !

ماذا يحدث ؟ .. عم يتحدث هذا المخبول ؟ .. لكن وجهه كان جاداً صارماً لا أثر للدعابة فيه .. كلماتى اصطدمت بحاجزٍ صلب بارد فسقطت مهشمة عند قدمى .

ـ ألم تطلب ذلك منى ؟

ـ دقيقة واحدة .. طلبت منك ماذا ؟

ـ النزول للبدروم ! ..

ـ متى ؟

ـ منذ عشرة دقائق فى حجرتى ! ..

أعتقد أنه لابد من اختصار هذه المحادثة التى لابد أن أدركت فحواها ، هو يعرف ويؤكد ويقسم أنه لم يأت لحجرتى أبداً ، وأنا واثق تماماً أنه كان عندى لسبب يعلمه الله وحده ، محادثة مملة كحوار الطرشان نتيجتها أن كلا منا اعتقد أن الآخر كاذب أو معتوه ..

ـ هل تعرف يا د . (رفعت) ؟

قالها فى غموض وهو يضيق حدقتى عينيه مستطرداً :

ـ يبدو أن كلينا على حق !

ـ كيف ؟ ..

ـ الأمـر واضح .. هنـاك من حاول استـدراجك للبدروم .. لهذا زارك فى صورتى .

ـ هل سنعود لهذا الهراء ؟ ..

ـ قل لى .. ألـم تلحظ شيئاً غير عادى فى هـذا الزائر ؟ ..

فكرت لحظة ثم قلت بلا مبالاة :

ـ لا شىء سوى أنه .. لم يكن يترك انعكاساً فى المرآة !

* * *

٦ ـ مزيد من الألغاز ..

هل لك فى شريحة جامبون ياد.. (رفعت) ؟
سألتنى مسز (كامنجز) فى رقة ونحن جلوس حول مائدة الافطار ، هززت رأسى أن لا .. فصبت المزيد من القهوة فى فنجانى قائلة إننى أبدو منهكًا ..

ـ كانت ليلة شنيعة سيدتى ، زارنى أحدهم ، و ..

وهنا أخرستنى نظرة شذراء من عين د. (ريتشارد) كى لاأسترسل فى كلامى ، غريب هذا ! .. فى شمس الصباح كان ما حدث أمس يبدو ضبابيًا وسخيفًا ..

إن ما حدث ليلًا هو دعابة لاأكثر ، أو هو على أقصى افتراض هلوسة شاذة نتيجة لقراءتى لقصة (برام ستوكر) الشنيعة .

بعد الإفطار دخلنا مكتب د. (ريتشارد) والتففنا حول صاحب الدار الذى أشعل سيجارة .. وقال مبتسمًا :

ـ أمس تلقى د. رفعت زيارة لطيفة ..

وحكى قصة الأمس لـ د. (لوفارسكى) الذى أخذ يصغى وهو يرمقنى بعينين حادتين كالصقر .. فما أن انتهت القصة حتى ساد الصمت ، بعد دقائق قال د. (لوفارسكى) بصوت رتيب كالقضاة :

ـ أعتقد أن كل شىء يتوقف على د. (رفعت) ..
سألته فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

قال فى ثقة ؟

ـ لاغبار على قصة د. (ريتشارد) .. لكن قصتك تحتمل المناقشة !

غلى الدم في عروقي :

ـ هل تعنى أننى كاذب ؟

ـ لاياصديقى .. بل أعنى أنك واهم ..

هززت رأسى .. الواقع أننى ـ أنا نفسى ـ لم أعد واثقًا من شىء .. كل ما رأيت كان ملموسًا وماديًا إلى حد مرعب .. لكننى لم أهلوس من قبل ، لربما كانت كل الهلاوس مقنعة هكذا ..

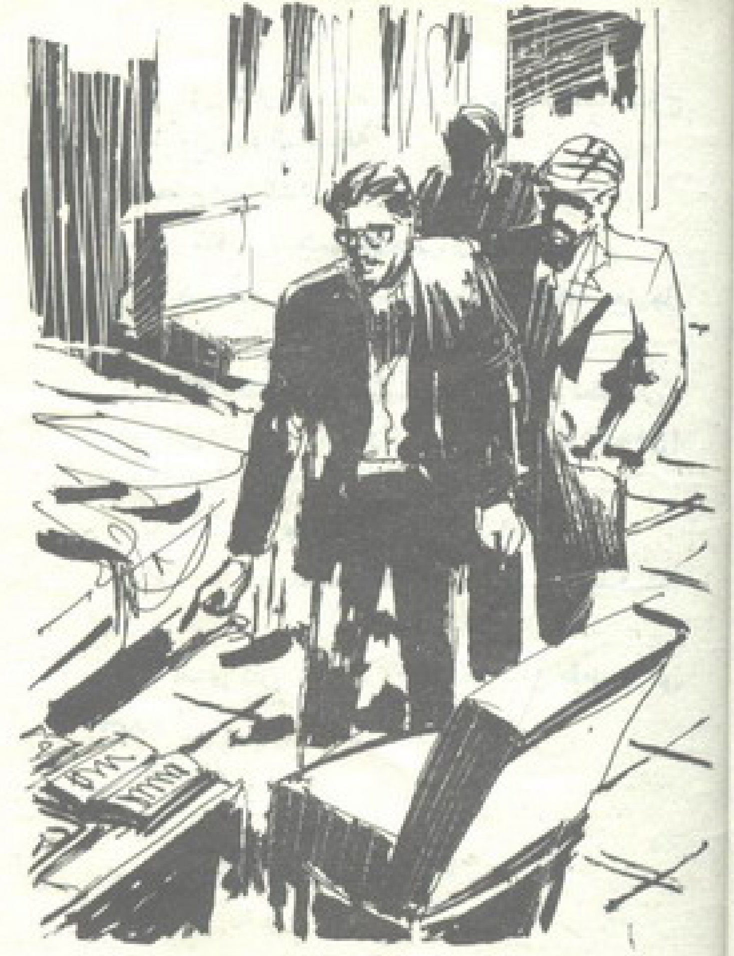
ثم .. تذكرت شيئًا .. يالى من أحمق ! ..

ـ تعاليا معى إلى غرفتى ..

وفى غرفتى كان الفراش بحالته ، لأننى لاأرتب سريرى أبدًا عند الاستيقاظ .

ـ تريان الآن ما أعنيه ..

وأشرت إلى رواية (برام ستوكر) المفتوحة .. والمصحف الصغير على الكومودينو .. موضوعات حديثى مع زائر الليل ..



نظر إلى ما أشير إليه .. الدليل الدامغ على سلامة عقل .. هناك على مشمع الأرضية كان عقب سيجارة محترق ..

قال د . (ريتشارد) :

ـ هذا لايعنى شيئا .. من الطبيعى أنك أقحمت فى هلوستك بعض الموجودات الحقيقية فى غرفتك .

ـ وهذا ؟

نظرا إلى ما أشير إليه .. الدليل الدامغ على سلامة عقلى .. هناك على مشمع الأرضية كان عقب سيجارة محترق ، سيجارة من النوع الذى يدخنه د . (ريتشارد) ولايدخنه أحد غيره ..

قال د . (لوفارسكى) :

ـ شىء بسيط أيها الشاب !.. لقد قدم لك د . (ريتشارد) إحدى سجائره ..

ـ إنه لم يقدم لى سيجارة فى حياته !..

ـ اسمع ياصديقى ..إن الحياة مليئة بالتعقيدات ولاتحتمل أكثر .. لماذا تملأ الدنيا صراخًا على ..

على عقب سيجارة ؟

صرخت فى غيظ .

ـ أنا أقول إننى واثق أن شخصًا ـ أو شيئا ـ اقتحم حجرتى ليلًا ودعانى للنزول للبدروم ، وهذا العقب هو الدليل على صدق كلامى ..

ثم نظرت لـ د . (ريتشارد) ، متوسلًا :

ـ د . (ريتشارد) .. لماذا لا تقول إنك كنت تمزح وتريحنا من هذه السفسطة ؟

ـ تحشم أيها الشاب ! .. أنا لا أكذب ..

ـ لكن التفسير العلمى الوحيد هو أنك تكذب .

ـ أنا لا أسمح .. وأطالبك بأن تكون أكثر لياقة مع رجل فى سن أبيك ..

واشتعلت الكلمات . وأظن أننى كنت على وشك ضربه أو هو على وشك طردى، لولا أن تدخل د . (لوفارسكى) بجسده البدين بيننا مهدئًا النفوس :

ـ يا سادة .. أرجوكما ! .. لقد نسينا شيئًا .

توقفنا عن المناقشة ، كى نعرف ما سيقوله هذا اليهودى :

ـ ما الذى كان على د . (رفعت) أن يفعله فى البدروم ؟

ـ لا أدرى ..

ـ ولا أنا ..

ـ إذن ننزل البدروم ونلقى نظرة .

ونزلنا للبدروم .. التابوت الكئيب العمل ورائحة العطن .. لا يوجد شىء جديد أو يستحق الانتباه ، لا شىء يدل على شىء ..

يا لغرابة ما نحن بصدده .!

لقد بقى يومان على الموعد المشهود وما زال كل منا عند رأيه ، لكن علامات الاستفهام تتكاثر حول كل شىء .

من سيضحك ضحكة الانتصار ليلة الأربعاء؟

★ ★ ★

٧ ـ زائـــر الليـل ..

في منتصف الليل صحوت على صوت زجاج يتهشم ..

استغرقت دقيقة كي أفهم أين أنا ، ومن أنا ، وماذا أفعل في الفراش .. ثم عشر ثوان أخرى أثب من الفراش حافيًا ـ وبالبيجامة ـ إلى باب الغرفة .. ثم إلى الطابق الثاني حيث سمعت الصوت .

هذه غرفة مكتب د . (ريتشارد) ، لا أحد هنالك لكن الستارة كانت تتموج في صمت في هواء الحجرة المظلمة مما دلنا أن اللوح المكسور هو هنا ..

أشعلت النور فلمحت شظايا زجاج على الأرض .. وبالطبع ـ كما هي العادة معي ـ دست على شظيتين بقدمي الحافية فأطلقت سبة .. وجلست على الأرض كي أخرجها .

ثم .. لمحت عيناي ...

هناك ـ خلف المكتب ـ كان شخص مختبئًا كي لا أراه .. الشخص الذي اقتحم النافذة الزجاجية بهذا العنف من أجل شيء لا أعرفه .. ولو جريت من الغرفة فقد يهاجمني ؛ لذا تشاغلت بمعالجة قدمي وأنا أسب بصوت مسموع ، الدم يصفر في أذني والأدرينالين يرتفع في دمي

وقبضتي تتوتر ، ثم في لحظة واحدة وثبت فوق المكتب وألقيت نفسي على هذا المتلصص ..

تلقيت لكمة في بطني جعلت الهواء يخرج من فمي .. إلا أني تحاملت ورفعت ركبتي لأركله أسفل بطنه .. سمعته يئن .. ولكن من هو ؟

كان ملثمًا .. ولم أر سوى عينين باردتين كشتاء لندن ، رماديتين كضبابها ، وجهت لكمة قوية إلى أنفه خلف القناع حتى أنني شعرت بغضروف أنفه يكاد يتهشم .. ثم لكمة في صدره .

لم أكن رياضيًا في حياتي ، ولم يكن الكاراتي والجيدو والتايكوندو معروفين لجيلنا ، إلا أن كل إنسان يمكنه أن يقاتل بشراسة ، طالما وجد هدفًا قويًا .. وهل يوجد هدف أقوى من أن أمنع هذا المتعصب من قتلي ؟

والتحمنا في عراك طويل .. كان الوغد قويًا وشرسًا لكني كنت حانقًا وخائفًا مما جعلني خصمًا مساويًا له تقريبًا .. وفجأة امتدت يده إلى شيء ما على المكتب ، وانهالت فوق رأسي ضربة من جسم معدني ثقيل .. كلا .. ! لن أفقد وعيي .. ! تحاملت .. لكن الأرض هي التي خذلتني ! ..

لابد أن فترة فقداني الوعي لم تزد على خمس دقائق ..



وكان قد قرب وجهه من الكونت وهو يهمس بكلمات ما لم أتبينها ..

وعلى الأرض كانت أداة لتثقيب الورق ملقاة بجانبى هى التى حسمت المعركة السابقة ..

كان الغثيان يقتلنى لكنى نهضت .. جريت مترنحًا للباب المفتوح ، ونزلت السلالم جريًا إلى المكان الذى كنت أعرف أنى سأجده فيه ، البدروم ..

نعم .. كان هناك فى الظلام بجوار تابوت الكونت (دراكيولا) وقد أضاء الكشاف الكهربى ووضعه بجواره على الأرض ، وكان قد قرب وجهه من الكونت ، وهو يهمس بكلمات ما لم أتبينها .. كأنها صلاة وثنية غامضة أو شىء من هذا القبيل ..

آه ! .. ألن ينتهى هذا الجنون ؟

صرخت صرخة أفزعتنى أنا نفسى .. ورفعت زجاجة ملقاة على الأرض ولوحت بها فى الهواء كالهراوة ثم انقضضت على هذا المدعى .. ولولا أنه أجفل لهشمت الزجاجة جمجمته فى ثوان .. وثب كالملسوع إلى الكشاف الكهربى فأطفأه .. ثم انهالت علىّ لكماته فى الظلام ، إن هذا الوغد يرى فى الظلام كالوطاويط ..

وفى هذه المرة لم أقاوم كثيرًا .

ظللت فترة ألهث فى الظلام ومذاق الدماء المالح يملأ فمى .. أعتقد أننى فى حاجة لاستعادة لياقتى فى المرة القادمة .

نور البدروم يُضاء .. د . (ريتشارد) و (لوفارسكى)

بثياب النوم وعيونهم منتفخة من أثر النعاس يحيطون
بى .. صحت فى سخرية مرة :
ـ أهنئكم على نقاء ضمائركم ..! إن الضجة التى
أحدثتها كانت كفيلة بإيقاظ الموتى ، وأنتم لم تصحوا إلا
الآن ..!

وشرعت أحكى ماحدث ، ومأان سمع د . (ريتشارد)
قصتى حتى امتقع وجهه ووثب كالقط إلى غرفة المكتب ،
وهنا جال خاطر مرعب فى ذهنى .. ماذا لو عاد ـ كعادته ـ
من أعلى ليقول إنه لايوجد لوح زجاج مكسور وأنى كنت
أهلوس ؟

إلا أنه عاد بعد دقائق وقد بدا عليه الاهتمام وهو يحمل
معه أداة لتثقيب الأوراق تلك التى كادت تهشم رأسى منذ
دقائق .. وقال :
ـ إنك كنت محظوظًا ياصديقى ..
أشرت إلى الزجاجة المكسورة الملقاة على الأرض
وقلت :
ـ والوغد كذلك محظوظ مثلى ..
ـ د . (رفعت) إننا أناس متحضرون ، وأرى أن
ماحدث لا ينبغى أن يمنعنا من ارتداء ثياب لائقة حتى
نناقش الأمور فى مظهر متمدين :
ـ سنلتقى فى غرفة مكتبى بعد عشر دقائق !

آه من هؤلاء الإنجليز ! .. يريد منى حين أجد لصًا فى
دارى أن أنهض من الفراش وأمشط شعرى وأرتدى ثياب
السهرة ثم أذهب إليه وأنحنى كجنتلمان قائلاً :
ـ سيدى .. إذا لم تغادر دارى خلال دقيقة أعتقد أننى
سأصل بصددكم إلى قرارات خطيرة !

آه .. تبًا ! . المهم أننى عدت لحجرتى وارتديت
ثيابى ، وتأملت وجهى فى المرآة .. لم تكن هناك عاهات
مستديمة والحمد لله ، ولكن ماذا سيكون تفسير هذين
السيدين لمغامرتى القصيرة الفاشلة ؟

وفى غرفة المكتب حيث الستارة لم تتطاير .. سألت
الرجلين :
ـ والآن .. ما قولكما ؟
قال د . (لوفارسكى) متحاشيا النظر فى عينى :
ـ إذا أردت رأيى لقلت إن هناك أحداثا غامضة لا يجمع
بينها سوى شىء واحد .. فى كل مرة إما أن نقابلك متجها
للبدروم أو نائما فيه ..
قال د . (ريتشارد) :
ـ إننى أتساءل عن قصتك القادمة التى ستبرر بها
نزولك للبدروم ليلا ! .. صحت فى غيظ وقد بدا لى
الرجلان شديدى السماجة والجهل .

- وهل تظنان أننى أحب هذا البدروم العطن وتلك المومياء السخيفة ؟ .. هل أنا أكذب لأبرر عشقى الشديد للجلوس جوار التوابيت فى الظلام ؟

لم يستطع د . (ريتشارد) أن يمنع ابتسامة على شفتيه إثر كلامى .. ورفع يده محاولاً تهدئتى :

- أنا لم أتهم .. ولم أقل هذا .. ولكنى قلت إن هناك محاولة ما لجعلك تنزل البدروم وحدك ليلاً .

- إن هذا لم يدر بخلدى قط ، لكنه صحيح ..

- ولنفرض هذا .. فما المفروض أن يحدث هناك ؟

- هذا ما اجتمعنا للتفكر فيه ..

- ولكن لماذا لا يكون زائر الليلة لصًا .. لصًا عاديًا ..

نظر لى د . (لوفارسكى) نظرة ذات معنى .. وقال :

- اللصوص لا يجثمون جوار التوابيت ليتلوا صلاة غامضة .. أنت قلت هذا بنفسك ، هل تذكر ؟ ..

أضاف د . (ريتشارد) :

- واللصوص لا يحطمون الزجاج بهذه الرعونة ، هذا اللص أحمق أو هو أراد أن تسمعه أنت ..

- واللصوص لا يدخلون البيوت من الطابق الثانى ما دام عندهم نوافذ الطابق الأول .

تنحنح د . (ريتشارد) ونهض إلى الستارة وأزاحها .. ثم قال :

- هناك ما هو أغرب .. هل لاحظتم كسر الزجاج ؟ .. إنه مجرد فتحة صغيرة لا تسمح أبدًا بمرور إنسان ..

نظرت فى عينيه .. وقلت :

- لكنها تسمح بمرور ..

نعم .. تسمح بمرور وطواط .. !

قال د . (لوفارسكى) :

- المزيد من الألغاز .. ! هل تريدان رأيى ؟ .. أعتقد أن بعض الجماعات السرية أو عبدة الشيطان على علم بوجود المومياء لدينا .. وهم يحاولون سرقتها .

- لكن أحدًا لم يعلم ما نعلم نحن ..

- طالما علمنا ما علمناه من المخطوطات فماذا يمنع أن يعلم آخرون نفس الشىء ؟

- إن هذا يدعونا لمزيد من الحذر .. لم يبق سوى يوم واحد على كل حال .. فلندعه يمر على خير بأية طريقة ..

ثم هز إصبعه فى وجهى .. وقال محذرًا :

- لا مزيد من الزيارات الغامضة للبدروم لأن المرة القادمة لن تمر على خير .. أريد أن تعود لمصر قطعة واحدة دون ثقوب !

ونزل الرجلان السلم فى حين تخلفت عنهما .. كنت أفكر .. ما دام اللص لم يدخل من النافذة فهو أحد المقيمين بالبيت .. وما دام قويًا فهو رجل .. وما دام ليس أنا فهو

أحد العالمين .. وما دام رمادى العينين قوى البنية فهو ليس د . (لوفارسكى) ، إذن هو ...

نعم .. إن هذا يتفق مع ما حدث بالأمس .. دائما هو د . (ريتشارد) فى كل حادث غامض ثم يظهر ليؤكد لى أننى أهلوس ، لكن .. ما الذى يخفيه هذا الرجل ؟

إنه يداعبنى دعابة عملية قاسية أو هو مخبول تماما وهو شىء لاأستبعده .. إن من عاش حياته وسط هذا الهراء لابد أن يكون مخبولا ..

ولكن لماذا أنا بالذات ؟ .. لأننى أصغرهم سنًا وأكثرهم رعونة .. ولأنه لم يزل يحمل احتقار المستعمر لأهل البلد الذى استعمره .. لم تكن ثلاث سنوات قد مضت منذ حرب السويس .. فهل هو ذلك الإنجليزى المتعصب الحاقد حقًا ؟ .. لا أفهم .

على كل حال لم يبق سوى يوم واحد .. وليس فى جعبتى سوى الحذر والانتظار .

دخلت حجرتى وأغلقت بابها ، اتجهت للشباك وفتحته .. نظرت إلى أعلى .. إلى نافذة غرفة المكتب المكسورة .. خيل لى أن شيئا ما يخرج ببطء من فتحة الزجاج .. ثم تبينت ما هو .. كان وطواطًا صغيراً سرعان ما فرد أجنحته مرفرفًا ودار دورتين فى الهواء ثم اختفى فى الظلام .. !

* * *

٨ ـ ليلة الأربعاء ..

تم إعداد كل شىء ..

وفى ذلك اليوم خرجت مع مسز (كامنجز كاترين) فى نزهة رائعة فى الريف الإنجليزى وتحدثنا عن كل شىء فيما عدا المومياء الموجودة بالبدروم ، وقد خشيت أن ينزلق لسانى بشكل أو بآخر ، لكنها كانت تعرف كل شىء فيما يبدو ..

عدنا للبيت عصرًا فتناولنا وجبة لا بأس بها ، ثم دعانا د . (ريتشارد) إلى النوم لأننا سنقضى الليل ساهرين .

وفى حجرتى غرقت فى سبات عميق ..

ترانسلفانيا .. الشيطان .. دراكيولا .. د . ريتشارد .. سالى .. يهوذا .. دم وخفاش وقمر .. وخفاش ودم .... مانتا عام .. جنين الشر .. (دراكيولا) يدخل الغرفة .. جئت لأصطحبك .. كلا .... ليس أنا .. دعنى فرصة أخرى .. أنا لست عزرائيل .. أنا مجرد مصاص دماء بائس .. نظرة يهوذا .. ليتنى كنت خفاشا يغرد فى الصباح .. كلا .. الخفاش لا يغرد .. كانت فلاحة ذاهبة للحقل فى قريتى .. حين .. حين ماذا .. لا أذكر .. لا تقترب منى ..

وللحظة لم أعرف أين أنا .. هل ظلام الغرفة حولى هو جزء من الحلم ؟ أم أننى أنا نفسى حلم ، و .... لقد غابت



ـ د . (رفعت) .. لقد حدث شيء .

ـ (كاترين) ؟ ماذا أتى بك هنا .. وماذا يحدث ؟..

الشمس وقد جاء الليل، ولكن لماذا لم يوقظنى أحد ؟ ..

وهنا أدركت ما أيقظنى . إنه صوت خطوات غريبة تمشى فى الردهة خارج الحجرة .. ثمة شيء مريب فى هذه الخطوات .. إنها ليست خطوات إنسان يمر عرضًا ، بل هى خطوات واثقة متأنية تهدف إلى أن أسمعها أنا ! ..

بحذر مددت يدى للأباجورة بجوار السرير وفككت سلكها واتخذت منها أداة صالحة للضرب . وببطء اتجهت للباب . وهناك لشدة ذهولى ـ تجددت الخطوات ـ وتجمد الدم فى عروقى .. صاحب الخطوات يقف الآن خلف الباب مباشرة !!

أهو (ريتشارد) ؟ أم (لوفارسكى) ؟ ولكن لم هذا التلصص ؟ مددت يدى إلى المقبض وفتحت الباب . وعلى ضوء الردهة الخافت وجدت خيالًا مألوفًا ..

ـ د . (رفعت) .. لقد حدث شيء .

ـ (كاترين) ؟ ماذا أتى بك هنا .. وماذا يحدث ؟ كانت شاحبة ترتجف ، وعلى عينيها الزرقاوين الجميلتين غشاوة متجمدة من الدموع لم تنحدر بعد ..

ـ لا أحد هنالك :

ـ لا أفهم ..

ـ لا أحد هنالك .. كل غرفهم خالية ، مامى ودادى و د . (لوفارسكى) ..

كل الغرف خالية !

ـ كلهم ؟ .. وكم الساعة الآن ؟

ـ الحادية عشرة مساءً .

ـ إذن بقيت ساعة على ميعاد نهوض المسخ .. لكن أين ذهبوا ؟ هل رحلوا ؟

هل اختبئوا فى مكان ما ؟ . ولم تركونى أنا وكاترين ؟ !

ـ أنا خائفة يا د . (رفعت) .. لقد نمت نوما عميقًا وحين نهضت لم أجد أحدًا ..

كانت ترتجف كالورقة .. فمددت ذراعى وطوقتها .. تحرك شىء فى قلبى ، للمرة الأولى، فطنت إلى أننى عشت خمسة وثلاثين عاما من عمرى وحيدًا .. يا له من شعور غريب أن تكون مسئولًا عن إنسان ما . وأن يحتاج إليك إلى درجة البكاء .. أخذت بيدها ونزلنا إلى البدروم ..

كل شىء كما هو ... والتابوت المشئوم فى مكانه .. ومومياء الخفاش ودلو دم الخنزير ... قلت لها :

ـ أنت تعرفين ما كان مفروضًا أن يتم هذه الليلة ؟ ..

هزت رأسها أن نعم ..

ـ وتعرفين أن الموعد بقيت عليه ساعة ؟

ـ نعم ..

ـ هل بحثت عن الآخرين فى البيت جيدًا ؟

ـ « وفى الحديقة ... وفى البدروم ... لا أحد ... لقد تركونا ... » أشعلت سيجارة وجلست على حافة التابوت مفكرًا .

ـ هل نطلب الشرطة بالتليفون ؟

ـ ليس لدينا واحد ، أقرب تليفون على بعد نصف ساعة مشيًا .

ـ رائع !!

وهنا ساد الظلام التام البدروم .. لقد انقطع التيار الكهربائى ويا له من وقت لانقطاعه ..

أشعلت شمعة كانت ملقاة على الأرض .. ظلالنا ساقطان على الحائط كأن عملاقين يراقبان ما نفعله ونقوله ..

قلت وأنا أنفث دخان السيجارة :

ـ هل تعلمين يا صغيرتى ؟ يخيل لى أن كل الخطوط تتلاقى فى نقطة واحدة ..

إرغامنا ـ أنا وأنت ـ على أن نكون المسئولين الوحيدين عن عودة هذا الشيطان .. هل نحن أصلح الناس لذلك ؟ هل يرى الشيطان فينا من الشر الخفى ما يؤهلنا لذلك ببراعة ؟

- لقد صرنا مجبرين ..

هتفت كاترين فى حنق :

- ولكن لماذا نحن مجبرون ؟ نستطيع أن نغادر هذا البيت الرهيب وبعد نصف ساعة تصل للعمران .. الدفء ، الأمان .

صرخت فيها :

- كلا .. لو فعلنا هذا لظللنا للأبد نحترق بنيران الفضول الذى لا يرتوى ، ولظللنا نلعن جبننا ونتساءل سؤالاً لا إجابة عليه أبدا :

هل كان (دراكيولا) سينهض ؟

إننا ظاهريًا أحرار لكننا فى الواقع مقيدون بأصفاد متينة من الفضول العلمى ..

نحن لا نستطيع إلا أن نستمر .. وسنستمر ..

- ولكن .

- لا لكن .. لو ضيعنا الفرصة فلن تعود قبل مائة عام نكون نحن فيها قد شبعنا موتا .. نموت دون أن نعرف .

كانت صغيرة السن ولم تفهم كل كلامى ، لكنها لم تكن تستطيع أن تتصرف وحدها .. إن من دبر هذا الموقف لهو شيطان ذو عقلية جهنمية يعرف تماما أن من سيتعرض لهذا الاختبار هو لابد مستمر فيه ..

- وأين الآخرون ؟

- لا أدرى .. ولا وقت الآن للإجابة عن هذا السؤال .. المهم هو أن نعد هذا المكان لاستقبال الكونت .

بقيت عشر دقائق على منتصف الليل . وأحضرت دلو دم الخنزير وقربته من التابوت ، ووضعت الخفاش المحنط على صدر المومياء .. ثم أطفأت الشمعة حتى لا تضايق سيد الديجور عند نهوضه ..

بعد سبع دقائق يتعامد المشترى على المريخ ، وينكشف وجه القمر من وراء الغمام .. وبعد سبع دقائق يعرف العلم إلى الأبد ما إذا كان السحر خرافة أم لا .. وما إذا كان القدماء واهمين أم لا .

أما أنا فكنت أردد كالمجنون بالعربية التى لا تفهمها :

- لن ينهض هذا الشىء لن ينهض .. أنا واثق من هذا وإلا غدونا فى موقف لا نحسد عليه

بقيت أربع دقائق ... ثلاث ..

* * *

٩ ـ المفاجأة ..

الساعة الآن الثانية عشرة والنصف ..

لم يحدث شيء . برغم الظلام الدامس ، أرى حدود الجسد المسجى فى التابوت ، وعينى كاترين اللامعتين ، وأشم رائحة الفورمالين ، وأسمع دقات قلبى .... لم يتغير شيء ..

كان كل هذا وهما ..

أشعلت الشمعة فى تؤدة فأضاءت المكان إلى حد ما .. وقد بدا لى الكونت مبتذلًا وسخيفًا إلى حد لا يوصف .. نفس الوجه والشعر المتآكل .. و ... و ...

ـ انتهى الأمر ..

قلت لكاترين لكنها لم ترد ، نظرة غريبة شاردة فى وجهها .. لقد حطمتها هذه التجربة ، لكن لم يكن لى مفر ، المهم الآن هو معرفة أين ذهب الأغبياء الآخرون ..

ـ قد يكونون خرجوا لغرض ما ..أو هم مختبئون فى دعابة سمجة ، أو ..

وأشعلت سيجارة ، غريبة رائحة الكبريت هذه .. كنت أحمل قداحة ، لهذا اندهشت للرائحة ، د . (ريتشارد كامنجز) الأحمق الذى أفنى حياته فى ألعاب صبيانية ، وذلك اليهودى البدين ، وأنا الذى سأرجع للقاهرة محملا بذكريات باسمة لا أكثر .. رائحة الكبريت .

الآن أستطيع القول إن العلم هو العلم .. وكل ما عداه هو خزعبلات ، ولكن لماذا تنظرين إلىّ يا (كاترين) هذه النظرة الوالهة .. كنت ما أزال وسيمًا محتفظًا بشعرى ، لكنى لم أكن جذابًا لهذه الدرجة ، خاصة لفتاة مراهقة .

ـ كاترين .. هيا نصعد .

لم ترد ، وفجأة انفرجت تضحك فى هستريا .. تضحك ... وتضحك فى الظلام .. لقد جُنت المسكينة !.. ثم نهضت ، وهى تترنح إلى .. إلى دلو الدم ومدت يدها فيه وأخرجت إصبعها السبابة ملوثًا ، و ... لعقته فى تلذذ .

ـ كاترين ، أيتها المجنونة !..

التفتت إلىّ بشفتيها الحمراوين وهمست فى صوت بارد :

ـ أنت لم تفهم بعد أيها الغبى .. لم تفهم .

ما أغرب هذا الذى تفعله ، لقد جُنت تمامًا .. و .. التابوت ظل فى مكانه كل هذه القرون ممددًا به الكونت والصندوق العاجى على صدره .. لهذا بدت لى قصة د . (لوفارسكى) غير منطقية وملفقة ، لأنه لا يمكن أن يقتل فى كل مرة ويعيدون تسجيته فى التابوت بنفس الوضع ..

ـ لن تفهم أيها الأحمق .

أسنانها تلتمع فى الظلام ، وهنا فهمت كل شيء .. لم يحدث أبدًا أن نهض (دراكيولا) من تابوته ، كانت الطقوس

تتم بجوار تابوته فى كل مائة عام ، من ثم تنتقل روحه لتحل فى أحد ممارسى الطقوس ، يصير هو (دراكيولا) الجديد .. فى حالتنا هذه كنت أنا و (كاترين) المختارين لهذا الغرض ؛ لهذا استبعد الآخرين بصورة ما .. والآن (كاترين) ـ بعد منتصف الليل ـ تغيرت كثيرًا جدًا .. (كاترين) شربت الدماء وتلتمع أسنانها الحادة فى الظلام وتصدر رائحة الكبريت اللعينة ..

وأنا حبيس معها فى البدروم ! ..

لقد فهمت كل شىء متأخرا جدًا ..

ـ د . (رفعت) : تعال وقبلنى ..

صوت مغر قادم من عالم بعيد ، إذن هذا هو كل شىء .

ـ تعال ..

ولهذا لم أتحول أنا أيضًا ، لأنه لابد لمصاص الدماء الوليد من وجبة عشاء .. وبماذا يتعشى إذا غدوت أنا أيضًا مصاص دماء ؟!

وقبل أن أفهم أنا نفسى ما حدث ، أطلقت ساقىّ للريح ، جريت كما لم أجر فى حياتى ، خرجت من القبو .. الردهة .. مدخل البيت .. الظلام الدامس جعلنى أصطدم مئات المرات بأشياء مجهولة ، قلبى كاد يثب من حلقى .. الحديقة وضوء القمر يغمرها ..

وبدأت أركض .. أركض .. أركض .. ومن بعيد لمحت أضواء العمران ورأيت أناسًا عابرين ..

* * *

٩ ـ الخاتمة ..

خلال أربع وعشرين ساعة كنت قد عدت لبيتى السعيد فى (الدقى) بالقاهرة ، قضيت أيامًا عديدة أتخيل (كاترين) تهيم فى الفلاة المحيطة ببيتهم تبحث عن عابرى السبيل وتخيلتها تموت بوتد خشبى فى صدرها ..

بعد شهور تشجعت وأرسلت خطابًا إلى د . (ريتشارد) ـ أو إلى عنوانه على الأقل ـ فلم يصلنى أى رد ..

أرسلت ثلاثة خطابات أخرى ، إلى أن وصلنى خطاب من مالك البيت الجديد يقول لي أن د . (ريتشارد) لم يعد يعيش هناك ، وأنه ارتحل إلى أستراليا مع عائلته ، ولا يعرف عنوانه هناك ..

كم من ليلة سوداء قضيتها أستعيد ما حدث وأحلله . هل كنت واهمًا ؟ هل كان هذا حلمًا ؟ أم كان هذا حقيقة تتلخص ببساطة فى أن الفتاة قد انهارت أعصابها بفعل التجربة الجهنمية ؟ أم كان هذا واقعًا عشته حين حُبست وحدى فى البدروم مع مصاصة دماء ؟ ..

لا أدرى .. ولن أدرى أبدًا .. هل قتلت (كاترين) بيد إنسان لم يتلوث ـ إنسان مثل أبيها ـ وهرب بعدها إلى أستراليا ؟

أم أنها قتلت نوبها فى تلك الليلة وجاءت غرفتى تولول وتبكى أم أن الأمر كله دعابة عملية قاسية أجادوا حبكها..؟

أسئلة كثيرة بلا إجابة ، ولا أرجو لها إجابة .. كل ما أعرفه أننى لن أحضر أبدًا أي مؤتمر عن أمراض الدم .. ولن أذهب أبدًا إلى (يوركشاير) أو (أستراليا) .. وأبدًا لن أشاهد فيلمًا لدراكيولا ! ..

ـ شعرات عديدة شابت فى رأسى وأنا أنتظر أن يصلنى انتقام الكونت (دراكيولا) إلى بيتى فى الدقى خاصة وأنا ـ على ما أظن ـ آخر من يعرف حقيقته ، وحزم ثوم علقتها خلف الشبابيك والأبواب ، وأوان فضية ، وآيات قرآنية .. لكن لم يحدث شىء والحمد لله إما لأن الله ستر ، أو لأنى كنت واهمًا فى مخاوفى ..

... وبعد سنتين من هذه الأحداث ، قابلت شيطانًا من نوع آخر فى مكان آخر أنسانى ما حدث تمامًا .. لكن هذه قصة أخرى ...

د . رفعت إسماعيل

القاهرة ـ يناير ١٩٩٢

★ ★ ★

انتهى الجزء الأول (بحمد الله)



روايات مصرية للجيب
ما وراء الطبيعة
Looloo
www.dvd4arab.com
الجزء الثانى
أسطورة الرجل الذئب
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مقـــدمة ..

مرة أخرى أعرفكم على نفسى : الدكتور رفـعت إسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقًا بجامعة (...) وعدد لا بأس به من جامعات أوروبا وأمريكا ، السن يناهز السبعين .. عزب ، لأن حياتى الصاخبة لم تدع لى الفرصة أبدًا كى أكون كالآخرين ..

لقد عرفت أشياء كثيرة .. فتحت تابوت الكونت (دراكيولا) .. صارعت المذءوب فى رومانيا .. بحثت عن وحش (لوخ نس) فى اسكتلندا ، قابلت رجل الثلوج الرهيب فى التبت ، ولبيت نداء النداهة فى غيطان القرة المظلمة .. وعرفت (الزومبى) فى جامايكا .

كل هذا سأحكيه لكم بالتفصيل فى هذه السلسلة .. لكنى - مرة أخرى - أرجو من ضعاف الأعصاب ومرهفى الحس أن يمتنعوا عن القراءة ، وبذلك يوفرون على أنفسهم ساعات من التوتر والهلع وخشية الظلام ..

اليوم أحكى لكم قصتى مع أسطورة الرجل الذئب ..

* * *

١ - بلـد الأسـاطير ..

نظر (أستبان) إلى ذبالة الشمعة المحترقة وإلى وجوه الجالسين حوله ثم غمغم :

- يا رفاق .. إن المذءوب هو أحد الجالسين على هذه المائدة ! ..

* * *

قبل أن نصل إلى هذا الجزء ، دعونا نعود بضع أيام إلى الوراء ، إلى زيارتى لرومانيا للمرة الأولى فى حياتى ، كنت فى السابعة والثلاثين من عمرى ، وقد مضى عامان على مغامرتى الرهيبة مع الكونت (دراكيولا) .. وكنت أعتقد - واهمًا كدأبى - أن متاعبى قد انتهت للأبد وأن الوقت قد حان كى أتزوج وأكوّن أسرة صغيرة وأفتتح عيادة نظيفة بمجرد عودتى من هذه المهمة العلمية ..

فى إحدى جامعات كلوج قابلت الصحفى الرومانى (جوستاف فيكولسكو) .. وهو شاب شديد الذكاء يتمتع بروح دعابة قوية ، ويجيد الإنجليزية كأهلها .. ومتبحر فى الأدب والعلوم الإنسانية ، وقد اعتبر نفسه مرشدًا لى فى كل خطواتى ، وعلمنى الكثير عن رومانيا البلد الذى كنت أعرف عنه أقل القليل أو لا شىء على الإطلاق ..

- ما هى الديانة هنا ؟ ..

- إن غالبية السكان هم روم أرثوذكس ..

- والشيوعية ؟

ابتسم فى تحفظ .. ثم همس وهو ينظر نظرة ذات معنى :

- يا رفيق .. إن الشيوعية لن تغير رومانيا .. إن رومانيا نسيج وحدها فى أوروبا وهى لن تتبدل أبدا .

رومانيا - كما قال لى - هى كلمة تعنى أرض روما .. لأن القائد الرومانى العظيم (ترايانو) قد فتحها وطرد البربر منها فى موقعة (داتشيا) سنة ١٠٦ ميلادية .. ومنذ ذلك الحين صارت ولاية رومانية .

ثم غزاها القوط ، ومن بعدهم السلاف ، فى القرن السادس الميلادى .

- أعتقد أن السلاف هم من أعطاها طابعها المميز ؟

- إلى حد ما ، والأهم هو أنهم قسموها إلى منطقتين : (ترانسلفانيا) و (والاشيا) ..

- ترا .. ترانسلفانيا ؟ . حيث قصر الكونت ..

- (دراكيولا) ! .. نعم ! ..إنها بلد خالد بالأساطير .. وأهم معالمه السياحية هو قصر الكونت (دراكيولا) ، يجب أن نزوره معا .. فهو مكان مثير للخيال إلى أقصى حد !

يا لك من أحمق ! .. ماذا تعرف أنت عن هذا القصر وعن تابوت الكونت وعن خادمه .. وعن .. وعن ؟

- بل إن (ترانسلفانيا) هى أيضا مكان قلعة (فرانكنشتاين) كما وصفتها مدام (مارى شيللى) !

- يا له من بلد جميل !

- المهم .. كنت أقول لك إن الأتراك غزوا رومانيا .. ودارت معركة كبيرة بينهم وبين (ستيفانو) الأكبر فى سهول راكوفا .. ثم تنازلت تركيا - الرجل المريض - عن أجزاء من البلاد للنمسا فى صلح (باساروفيتش) ..

- ومتى إذن صرتم أحرارا ؟ ..

- حدث هذا فى عام ١٨٥٦ .. وانتخب للحكم الأمير (ألكسندر كوز) بعد الحرب العالمية الأولى ضممنا للبلاد (بوكوفنيا) من روسيا .. ثم جاءت الحرب العالمية الثانية .. استولى الجنرال (أنطونسكو) على الحكم لصالح النازى ، وكان من جراء هذا أننا فقدنا (بوكوفنيا) مرة أخرى هى وأجزاء من (ترانسلفانيا) عادت للمجر ..

بعد الحرب صرنا دولة شيوعية تابعة للاتحاد السوفيتى ..

(كان هذا الكلام فى عام ١٩٦١ ولم يكن أحدنا يتخيل ما سيحدث لرومانيا - وللشيوعية كلها - بعد ثلاثين عاما) ..

قلت له :

- ولماذا تحبون الشيوعية ؟

- مكره أخاك لا بطل ! .. إن موسكو لا تترك لأحد فرصة الاختيار ، أضف إلى هذا أننا كنا نريد أى تغيير بعد مظالم العهد البائد ..

- هلا أعطيتني سيجارتك أشعل بها سيجارتى ؟

قدمت له سيجارة فأخذها .. وهتف :

- أرأيت ؟ .. قبل سنة ١٩٤٧ كانت هذه جريمة يُعاقب عليها كلانا بالسجن !

- أية جريمة ؟

- إشعال سيجارة من سيجارة ! .. كانت قوانين الاحتكار تحتم على المواطن استعمال عود ثقاب لهذا الغرض كى تروج تجارة الثقاب(*) !

أخذت أضحك .. فلم أتخيل من قبل هذه العبقرية فى تقييد الحرية الشخصية للإنسان ، يا للجهل البشرى !

قال جوستاف :

- سترى الكثير من الأعاجيب فى رومانيا .. عليك الآن أن تذهب للفندق كى تستريح .. وسأراك غدًا ..

* * *

(*) حقيقة .

كانت جولة رائعة استغرقت أسبوعين، زرنا فيها جامعات (كلوج) وكنائس (بوخارست) العتيقة .. ودخلنا حانات (مامايا) على البحر الأسود، حيث روى لنا البحارة الأشداء قصصًا مثيرة .. وزرنا ميناء (كونستانتا) أهم موانى رومانيا ، لكن ما أثر فىّ أشد تأثير كان زيارتى (لترانسلفانيا) ..

- (ترانسلفانيا)هى حوض منخفض فى غرب البلاد تحده سلسلة جبال الألب الترانسلفانية ، وإلى الشمال تجد مراكز صناعة الصلب فى رومانيا .. ثم منطقة (الكربات) ..

- هذا الاسم مألوف لى ..

- (الكربات) هى منطقة رعوية .. جبال متوسطة الارتفاع تكسوها الحشائش ، وفى الجنوب يجرى نهر الدانوب ..

- الأزرق ؟

- لا يوجد دانوب أحمر فيما أظن ! ..

وفى تلك الليلة زرنا قصر الكونت (دراكيولا) العتيق المتهدم ، وكنت أذكر تفاصيله من الصور الفوتوغرافية فى المرة السابقة ، لم أتمالك أن أرتجف وأنا أتخيل

د . (ريتشار) و (لوفارسكى) يتسللان ليلا لهذا القصر المتهدم كي يبحثا عن مومياء (دراكيولا) ، وتذكرت رعب أهل القرية من المرور جواره ..

إن هذا المكان ينبض بروح ما ، لا يمكن وصفها ..

قال لى (جوستاف) :

ـ إن التراث الشعبى فى رومانيا ملىء بقصص الرعب ، والأمهات هنا يخفن أطفالهن بحكايات مصاصى الدماء والمذءوبين و (نوسفراتو)[*]

ـ ولماذا فى رومانيا بالذات ؟

ـ إما أن هذا يعود لخصوبة الخيال المحلى .. وإما أن هذه المسوخ موجودة فى رومانيا بالفعل ! ..

* * *

(*) الاسم المجرى لدراكيولا ..

٢ ـ العاصفة ..

انطلقت سيارة (جوستاف) فى الطريق الوعر المتشعب والمطر ينهمر بغزارة على زجاج النافذة فى حين كان بخار الماء يتكاثف من أشداقنا على باطن الزجاج الدافئ .. فكنت أمسحه من أمامه بمنديلى من حين لآخر ..

ومن بعيد ـ عبر الغابات الكثيفة المظلمة ـ كان لسان من البرق يشق السماء من حين لآخر ليضيء الموجودات بلون أزرق بارد قاس ثم يختفى .. وبعد ثوان يدوى هزيم الرعد كأنما نجوم السماء يصطدم بعضها البعض ..

ـ إنها الكريفات ...

ـ الكريفات ؟ ..

ـ إنها ريح شتوية عاتية تجتاح هذه المناطق .. وتحدث كارثة فى المزروعات .. إنها وبال على الفلاحين هنا .

ـ يا له من فأل سيئ ! ..

ـ لا تبتئس يا رفيق .. أنت لم تر سوى رومانيا الباسمة ، وقد حان الوقت كى تراها حين تكشر عن أنيابها ! ..

كنا نجتاز دلتا الدانوب فى جنوب البلاد ، وكانت الطيور كلها قد فرت قبل العاصفة ، ولم يبق فى الغابات المترامية

إلا بعض الذئاب تبحث عن مأوى ..

بدأ الجليد يتساقط رقيقًا ناعمًا لكنه ثقال ، فى ثوان تكتسى الغابات بلون أبيض جميل ، وكنت لم أر الجليد فى حياتى .. وقد خيل لى أننى أحلم .. فجأة يتحول المشهد إلى مسرح لقصة خرافية ما .. نعم .. لابد أن ينشط الخيال البشرى فى هذه الأصقاع ..لابد .

- رائع !

- هل تعنى أنك لم تر جليدًا قبل اليوم ؟

- نعم ..

- ألم تقل إنك زرت انجلترا وفرنسا مرارًا ؟

- بلى .. كان ذلك دائمًا فى جو صحو للأسف !

انفجر يضحك .. ثم اشعل سيجارة .. وهتف :

- إن دلتا الدانوب مليئة بالبجع والبلشون .. والدببة .. والفهود !

- فهود ؟

- طبعًا .. أنت لم تر رومانيا بعد يا صديقى .. ويبدو أنك سترى منها الكثير من الآن فصاعدًا ..

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أننا لن نستطيع الاستمرار فى هذا الجو دون جنازير على العجلات .. يجب أن نتوقف ! ..

* * *

شرع (جوستاف) يتفحص خريطة الطرق .. ثم تمتم :

- أقرب مدينة منا هى (تورسفرين) لكنها على مسافة لا بأس بها ، إلا أن هناك قرية صغيرة اسمها (كرايوفسكا) على بعد عشر دقائق .. أعتقد أنها أملنا الوحيد .. المهم هو أن نتحرك سريعًا قبل أن يتعذر ذلك ..

وافقته على كلامه لأن دمائى الحارة القادمة من وادى النيل كانت قد بدأت تتجمد فى عروقى ، كنت أرتدى بول أوفرين ومعطفًا وتحت بنطلونى ذلك السروال القطنى السميك الذى أهدته إلىّ المرحومة أمى حين ذهبت للإسكندرية أول مرة فى حياتى ، لكنى برغم ذلك كنت أرتجف .. وبدأ أنفى يسيل .. وأدركت أننى فى حالة سيئة .. سيئة ..

أعاد (جوستاف) الخريطة إلى تابلوه العربة ، ثم أدار المحرك عدة مرات .. احتبس فيها نفسي لا أريد التفكير فيما سيحدث إذا رفضت السيارة التحرك .. ثم انطلقت السيارة ، ومضينا صامتين لا شيء حولنا سوى الأشجار المغطاة بالثلج تلتمع فى كشافات السيارة .. ومن بعيد كان ذئب أو اثنان يجريان من طريق العربة .

- (جوستاف) ؟

- هم م م ؟

- ماذا عن قضمة الصقيع ؟!

وقضمة الصقيع - إن كنت لا تعرف - هو نوع من الغنغرينا يصيب الأطراف فى البرد الشديد ويؤدى لبترها ، قال لى ما معناه :

- قال الله ولا قالك !

- أنا لا أمزح .. أنا لا أشعر بأصابع قدمى ! ..

- على كل حال ليس الطقس بهذا السوء .. لسنا فى (سيبيريا) فلا تتصرف كالأطفال ..

ظللت صامتًا وأنا ألعنه فى سرى ، وألعن دلتا الدانوب ، وهذه الكر .. الكرفات أو أيًا كان اسمها ، وشرعت أتخيل نفسى عائدًا للقاهرة دون قدمين لأتسوّل جوار مسجد الحسين ، أو أتخيل نفسى ضحية لذئاب رومانيا الشهباء التى لا تمزح .. هل سيكرمون ذكراى فى كلية الطب ويسمون دورة المياه بها على اسمى ؟ .. دورة مياه الشهيد (رفعت إسماعيل) ! ..

فى ذلك الوقت لم أكن أعرف أننى سأعيش ثلاثين عامًا أخرى سليمًا معافى ، واليوم أتذكر ، فى كل مآزق حياتى - وما أكثرها - كنت فى كل مرة أعتقد أنها الأخيرة ، لهذا لم أستمتع ولم أتعلم ..

حين تدخل أنت بيت الأشباح فى مدينة الملاهى أو فيلم رعب تكون على علم تام بأنك - مهما رأيت - ستعود

إلى بيتك سالمًا بعد هذا الفزع ، لهذا تعيش التجربة بأكملها ، أما أنا فلم أكن أعرف ..

والدرس الذى تعلمته - بعد سنوات طويلة - هو أن أفتراض فى كل مأزق أننى سأخرج منه سالمًا من ثم أحتفظ بوضوح وترتيب فكرى ، إن الهلع لايجدى .. والموت هو ميعاد مكتوب لن يغيره حذرى ولارعبى ، فإذا جاء .. فلأمت كرجل مبتسمًا واثقًا ..

لكنى لم أكن أفهم هذا وقتها ! ..

ومن بعيد لاحت أضواء القرية .

كانت الساعة العاشرة مساء .. والشوارع مغطاة بالثلج ، والظلام شبه تام فيما عدا بعض الأضواء خلف النوافذ المغلقة ..

وارتجفت حين تخيلت الأسرة الملتفة حول المدفأة .. والطعام ..

- الآن علينا أن نجد خانًا ..

وأمام لافتة خشبية يضيئها مصباح ترجّل (جوستاف) من العربة .. ثم قرع الباب بقبضة نحاسية معلقة جواره .. وصاح باللغة الرومانية بشىء ما ، فردّ عليه من الداخل صوت فظ يقول شيئًا آخر ، حين تسمع لغة لاتفهمها يخيل إليك أن الكلمات تجرى بين شفاه أصحابها



قرع الباب بقبضة نحاسية معلقة جواره .. وصاح باللغة الرومانية شيئاً ما ..

بسرعة لايمكن متابعتها ، (جوستاف) يصرخ والصوت يصرخ .. ماذا هناك ؟

عاد إلىّ وهو يسب ويلعن ـ بالرومانية ـ بألفاظ أعتقد أنها مشينة للغاية ، ثم فتح باب السيارة وجلس جوارى .

ـ الخنزير لايريد أن يفتح لنا ..

ـ ولمه ؟

ـ لاأدرى .. قال إننى أستطيع أن أشكوه لمكتب الفنادق أو للحزب نفسه لكنه لن يفتح ..

ـ ربما يظننا لصوصًا ؟

ـ كلّا إن رعاة الدانوب ودودون جدًا .. ولكن هذا الرجل لاأفهم .. وأدار محرك السيارة ، وعدنا نجوب شوارع القرية المكسوة بالثلج صامتين .. بعد دقائق سألته :

ـ (جوستاف) ؟

ـ نعم ..

ـ هل الليلة مناسبة دينية عندكم ؟

ـ لاأعتقد .. ولماذا ؟

ـ لايوجد بيت فى هذه القرية إلا وغرس صليبًا حديديًا أمام بابه ! .. ألم تلحظ هذا ؟ !!

* * *

٣ ـ الكنيســـــة ..

وصلنا للكنيسة العتيقة فى القرية .. آخر أمل لنا فى المبيت .. نزل (جوستاف) من العربة واتجه نحو باب الكنيسة الحديدى الصدئ وصفق بكفيه .. ولم يفته أن يشير لصليب حديدى مغروس فى الجليد أمام الباب .. ونظر إلىّ نظرة معناها : أنت على حق فيما لاحظت ..

بعد دقائق تحرك ضوء مصباح ، وانفتح الباب الصدئ فى حذر عن وجه ملىء بالتجاعيد ، كان هذا هو القسيس .. لحيته البيضاء ونظراته الطبية السميكة ذكرتانى بقساوسة الروم الأرثوذكس الذين عرفتهم فى الإسكندرية ، تحدث معه (جوستاف) بكلمات مقتضبة فهز رأسه استنكارًا ودعانا للدخول ..

أغلقت خلفى باب السيارة ووثبت إلى الداخل وأنا أرتجف بردًا . صعدنا سلالم متآكلة إلى غرفة واسعة رحبة .. وكانت هناك .. مدفأة ! اللهب الأحمر العزيز يتراقص مرحبًا بنا .. وكانت هناك سيدة عجوز جالسة تحيك التريكو جوار المدفأة .. قدمها لنا الأب بكلمات لم أفهمها ..

فقال (جوستاف) :

ـ الآنسة شقيقة الأب (أنطونيسكو) ..

وكانت هناك بعض كتب الصلاة على مائدة خشبية عتيقة ، وشمعدانان .. وعدة أيقونات ، كانت غرفة قديمة لكنها نظيفة مريحة و .. دافئة !

جلسنا أمام النار شاعرين أن اللهب ينفذ عبر عظامنا ليذيب النخاع بداخلها ! .. أما الأب (أنطونيسكو) فنهض إلى زجاجة صغيرة صبّ لنا منها شيئا فى قدحين من الخزف .. وقدمه (لجوستاف) ولى .. نظرت إلى (جوستاف) فى تساؤل فقال :

ـ روم ساخن ليجرى الدم فى عروقك ..

اعتذرت له وناولته الكأس ليشربها بدلًا منى فى حين شرح هو الأمر للأب :

ـ مسلم ..

قالها بالرومانية كما ننطقها نحن بالعربية .. فنظر إلى الأب فى مودة :

ـ آها ! .. مسلم ؟

ودارت محادثة قصيرة أدركت مفادها بالطبع .. من أين أتيت أنا وكيف ؟ وماذا أفعل فى هذا الركن المشئوم من العالم فى هذا الزمهرير بينما بلدي هو أجمل وأدفأ بلدان الأرض ؟! .. لو كنت أجيد الرومانية لقلت له إننى مجنون أيها الرجل الطيب .. مجنون .. ومعتوه .. وأبحث عن حتفى ..

جاء العجوز فى تؤده حاملة وعاء تفوح منه أبخرة زكية .. ورغيفين طويلين .. وطبقًا به بعض شرائح اللحم ، أشار القسيس إلى اللحم ولى وقال كلامًا ما لم احتج لمجهود كبير كى أعرف معناه ..

قال (جوستاف) :

- يقول لك إن هذا اللحم ..

- .. ضأن .. وليس لحم خنزير .. أليس كذلك ؟

- وكيف عرفت ؟

إن لغة الإيماءات والنظرات عالمية ياصديقى .. لو أنك شاهدت فيلمًا باللغة البنغالية لفهمت ثمانين فى المائة من قصته دون جهد ..

وعلى المائدة جلسنا نرشف الحساء الذى لاأعرف ماهو وإن كنت أميل بعد تذوقه إلى الاعتقاد أنه حساء أحذية .. وكانت تسبح فيه أشياء مرعبة لكنه كان ساخنًا وهذا يكفى !

على حين جلس (جوستاف) والقس تبادلان حديثًا لم أفهم حرفًا منه .. سيل من الشينات والخاءات ينهال فوق رأسى ويكاد يطير المائدة بما عليها .. هل اللغة الرومانية خشنة إلى هذا الحد ؟

عينا القس تتسعان خلف نظارته وهو يضغط على مخارج الحروف .. و (جوستاف) يبدو غير مصدق وإن كان قد توقف عن المضغ مما دلنى على أن الأمر أثار اهتمامه إلى حد ما ، الأب يرسم علامة الصليب ..

- عم تتحدثان يا (جوستاف) ؟..

نظر إلىّ فى تهكم .. ثم قال :

- خمّن !.. ألست خبيرًا فى الأفلام البنغالية ؟!.. الإيماءات ياصديقى .. الإيماءات !

- حسن .. لا تمزح !.. هناك معتقد ما يؤمن به الأب ويخشاه كثيرًا لكنك لاتصدقه .. وإن كانت القصة قد بدأت تؤثر فيك ..

- حسن .. أنت على حق .

- ولأكون أكثر دقة .. يقول لك إن الشيطان أو روح الشر - أو شيئا من هذا القبيل - يتجول فى القرية هذه الليلة المشئومة لهذا أغلق السكان بابهم وغرسوا الصلبان على الأبواب ، وإنه يسأل الرب أن يحفظنا هذه الليلة ..

نظر إلىّ فى شك .. وتساءل :

- قلت إنك لاتعرف حرفًا من الرومانية ؟

ـ بالفعل .. لكنها الإيماءات كما قلت لك .. ثم إن القصة هي دائمًا هكذا .. تعلمت ذلك من قصص (إدجار آلان بو)(*) !..

ـ وهل أدركت من الإيماءات أيضًا أنه مزق رجلين أمس ؟

ـ من هو ؟

ـ إنه (بيلاسكو) المذءوب .. أو بمعنى آخر ، الذئب الذي كان رجلًا ..

* * *

(*) (إدجار آلان بو) الشاعر الأمريكي العبقري .. كتب أرق قصائد الحب مثل (آنابيل لي) وأفظع قصص الرعب مثل (قناع الموت الأحمر) و (الحشرة الذهبية) و (سقوط منزل آشر) .

٤ ـ رعب في القريـة ..

صحت في ذهول :

ـ هل .. هل تتحدث عن أسطورة الرجل الذي يتحول إلى ذئب حين يصير القمر بدرًا ؟

قال في تشفٍ إذ نجح أخيرًا في إثارة فضولي .

ـ إن رومانيا هي موطن هذه الأسطورة .. وبالتحديد سهل الدانوب ، وللمزيد من الدقة الجغرافية يبدو أن موطنها هذه القرية للأسف !

ثم ابتلع ملعقة من حسائه .. ودعاني بإشارة إليّ أن أواصل الأكل .. لكن ما أكلته كان قد تحول في معدتي إلى قالب من الطوب .. خرافة أخرى تلاحقني في هذا الركن من العالم كأني الوحيد المؤهل لهذه المهام القذرة ..

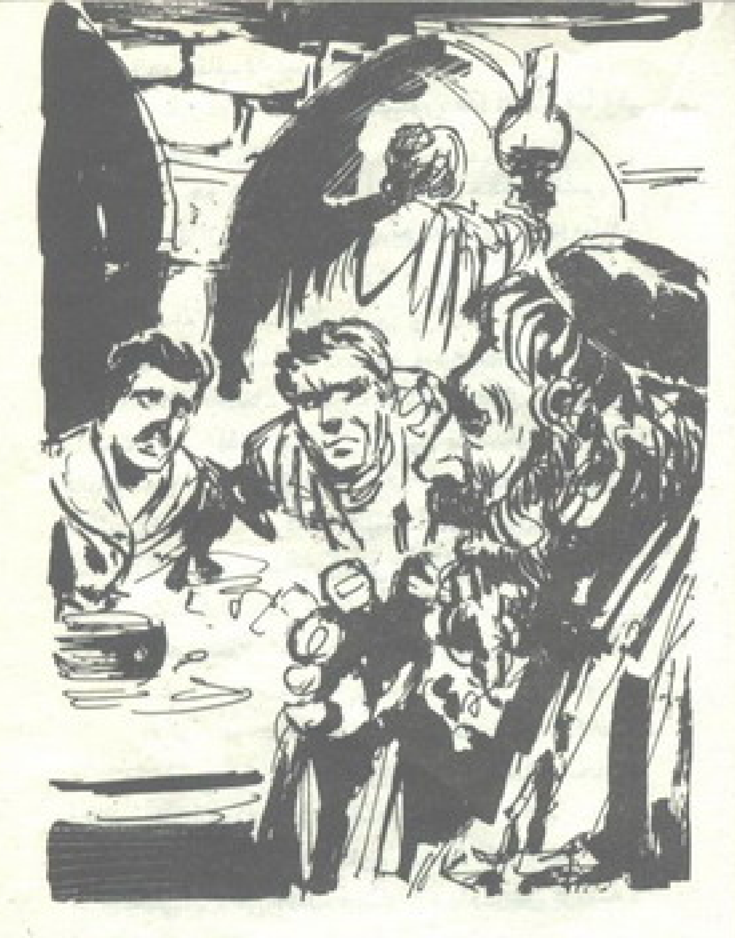
قلت :

ـ لكن القمر كان بدرًا البارحة .. المفروض بحسب الأسطورة أن يسود الهدوء والسلام القرية بعد ليلة البدر الصاخبة ، ويعود المذءوب إنسانًا ..

تبادل بعض كلمات مع الأب (أنطونيسكو) ، ثم التفت إليّ :

ـ ثلاثة أيام ..

ـ إذن يظل المذءوب يعيث فسادًا في القرية ثلاثة أيام .. هذا كثير ..



وعادا للحديث مرة أخرى .. وسمعت كلمة (نوسفيراتو) عدة مرات ..

وإذن فليلة باكر هى آخر ليالى هذا الشهر ..

- أظن هذا ..

وشرعت أنهى حسابى على حين استمرت المحادثة بين (جوستاف) والقس ، التفت إلىّ (جوستاف) ، قائلا :

- قلت للقس إنك لاتصدق حرفا ..

- (جوستاف) ! إن هذا لايليق .. إن آرائى الخاصة ...

- وهو يدعوك أن تزور الحانة باكرًا لتسمع ما سيقوله الرجال هناك ..

- ولكن اعتذر له .. أنا لم أقصد .. يا لك من ...

وعادا للحديث مرة أخرى .. وسمعت كلمة (نوسفيراتو) عدة مرات .. ثم أشار إلىّ القس ضاحكا ..

- إنه يسألك عن مغامرتك مع الكونت (دراكيولا) ..

نظرت إليه فى غيظ ، وقلت :

- قل له إننى اقتربت من القصة بشكل مروع .. لكنى حتى هذه اللحظة لست واثقًا من شىء ، قد تكون كل القصة سلسلة من الأوهام ، وقد تكون دعابة قاسية شربتها حتى الثمالة .. لكنى أعرف شيئا واحدا ..

لم أجد أى دليل مادى على أن مصاص الدماء عاش أو يعيش فى هذا العالم .. وإن موقفى من الخرافات لم ولن يتغير .. كل ما لايُرى ولايُسمع ولايُشم ولايُعقل هو غير موجود ، هذا هو رأيى فى أسطورة (دراكيولا) ..

قال (جوستاف) مصححا :

ـ (نوسفيراتو) !.. إنهم يفضلون هذا الاسم هنا وفى بولندا والمجر ..

ـ نعم .. هم على حق .. فهو يبدو محببًا للنفس !..

عادا يتحدثان عشر دقائق .. ثم التفت إلىّ (جوستاف) قائلا :

ـ يقول الأب إنك مخطئ !..

بالبلاغة هذه اللغة !.. ربما استغرقت ساعتين كى أقول له كلمة مساء الخير ، تثاءبت فقال الأب شيئا ماللسيدة .. فقامت على الفور تحمل مصباح الكيروسين .. واقتادتنا فى تؤدة إلى غرفة صغيرة بها فراشان نظيفان .. وقالت شيئا ما هو ـ بلاشك ـ كلمة مساء الخير بالرومانية ، وعلى الفراش ارتمينا بثيابنا لأن حقائبنا كانت فى السيارة ولأن أحدنا لم يكن مستعدًا للنزول فى الصقيع والظلام كى ينعم بالنوم فى بيجامة .

... وغرقت فى نوم عميق ....

... غريب هو عواء الذئاب فى هذه القرية .. صوت قوى متحشرج أليم كأنه إنسان يتألم فى أعماق الجحيم .. أيقظنى هذا العواء ثلاث مرات بعد منتصف الليل .. فكنت أردد آية الكرسى وأعاود النوم متخيلا ذلك الذئب البائس الذى يمشى الآن فى الظلام والثلوج ، باحثًا عن فريسة !..

فى الصباح خرجنا ـ أنا و (جوستاف) ـ نسير فى القرية ..

ـ أول شىء هو أن نجد ما يلزم للسيارة كى نواصل الرحلة .. ثانى شىء هو أن نذهب للحانة ـ كما قال الأب ـ فقد نجد شيئا يهمك .. أو يهمنى أنا ..

وعند جراج القرية توجه (جوستاف) إلى رجل بدين يكسوه الشحم والعرق ويصرخ ، تحدث معه صديقى فواصل الصراخ .. ثم عاد إلىّ .. قلت باسمًا :

ـ كلهم فى هذه القرية يصرخون ويرفضون طلباتك ..

قال فى صرامة :

ـ لامجال للمزاح .. إنه يقول إن الكريفات سدت كل الطرق بالثلوج ..

وخط التليفون الوحيد مقطوع فلم يستطيعوا استدعاء كاسحات الثلوج ..

ـ وهذا يعنى ..

ـ نعم .. بالضبط .. يعنى أننا سجناء فى هذه القرية حتى يذوب الجليد !

* * *

فى الحانة طلب (جوستاف) بعض الروم له وقهوة لى ، وجلسنا وسط بحر من الشوارب الكثة السلافية ونظرات الشك .. ورجال مفتولو العضلات زادهم الفراء

الذي يرتدونه ضخامة .. وكلهم تقريبًا مسلحون ببنادق ضخمة عتيقة ..

- كلهم هنا من الرعاة .. وحياتهم خشنة إلى حد لايوصف ، ثم يجدون أنفسهم أمام فتاتين رقيقتين مثلي ومثلك !

قالها (جوستاف) وهو يرشف قدحه في حين انكمشت أنا في مقعدي وسط هذا المناخ غير المرحب ، اقترب منا صاحب الحانة فأخرج (جوستاف) حفنة من اللايات(*) دسها في قبضته .. وقال شيئًا ما ، من ثم تهلل الرجال طربًا وشرعوا يحتسون الروم في مرح مرعب ..

إنها تلك الحيلة القديمة : كل مشاريب (الجدعان) على حسابي .. من ثم تزول الكراهية والحواجز البشرية في ثوان .. اقترب منا رجل قوى البنية وشد كرسيًا على مائدتنا وصافحني أنا و (جوستاف) بيد كادت تهشم أصابعنا ، وقال :

- (استبان) !.. استبان هيرشوفتش ..

- (جوستاف نيكولسكو) ..

- (رفعت إسماعيل) .

سأله (جوستاف) عن شيء ما بالرومانية .. فشرع الرجل يفكر ، ثم بدأ يحكي قصة مروعة طويلة وهو يئن

(*) اللاي : عملة رومانيا .

من حين لآخر ، ثم تهافت .. فأحاط (جوستاف) كتفه بذراعه ، وقال :

- إنه فقد صديقه أول أمس .. تذكر صديقه هذا أنه لم يغلق حظيرة الأغنام من ثم ترك زوجته وطفليه وخرج في الظلام .. بضع ثوان لكنها كافية .. سمعت زوجته صرخة مريعة ، وحين خرجت مسلحة لترى وجدت زوجها ممزقًا على الأرض وجواره آثار أقدام ذئب ..

- والآخر ؟.

- إنه عبيط القرية (كونستانتين) ..

- وهل حدث شيء ليلة أمس ؟

- لاشيء فيما نعلم .. كنا نحن المرشحين لنيل هذا الشرف لو لم يستضفنا القس ..

صحت في حنق :

- إذن تركنا هؤلاء الجبناء ولم يفتحوا أبوابهم بغرض ترك وجبة عشاء مضمونة للرفيق (بيلاسكو) .. ياله من ذكاء !

عاد يتحدث مع الراعي .. ثم التفت إليّ :

- يقول إن أحدًا لم يفتح بابه لنا لأن المذءوب يستطيع الكلام بصوت البشر أحيانًا مقدمًا أعذارًا مقنعة ، ومن رأيه أن الأب (أنطونيسكو) اقترف جريمة في حق نفسه وحق أخته حين أدخلنا بيته أمس !

- هذا لطف منه !

وأفرغت فنجان القهوة فى حلقى .. ثم سألت :

- قل له من هو هذا المذءوب ؟.. هل يعرفونه ؟

- يقول إنهم لو عرفوه لقتلوه .. لكنه أحدهم بالطبع !.. ثم أنهم قتلوا مذءوبين كثيرين من قبل ..

- ماذا؟.. هل هم كثيرون ؟

- طبعًا !.. هناك دائمًا واحد .. الأسطورة تقول إن من يجرحه المذءوب يتحول لمذءوب جديد فى الشهر التالى ، كأنه وباء ..فإذا قتلت المريض الأول بقى المريض الثانى ..

- وحين تقتله يكون قد ابتلى العالم بثالث ..

- وهكذا .. سلسلة طويلة منذ القرون الوسطى إلى يوم الدينونة ..

- وكيف يقتلون المذءوب ؟..

- الأمر يقتضى إغماد نصل فضى فى قلبه بالطبع وهو فى صورته الآدمية ، لأنه وهو ذئب يكون فى أقوى حالاته .. يمكنه اقتلاع شجرة من جذورها بكل سهولة ..

- وكيف يعرفون وهو آدمى أنه هو المطلوب ؟

عادا يتحدثان .. وأشار (أسبتان) إلى رجل يرتدى ثيابًا قذرة وأصلع الرأس ، فجاء الرجل ، طلب منه شيئًا ما .. فأخرج الرجل من سترته لفافة وألقاها على المائدة وهو يرمقنى فى شك :

- يقول (أستبان) أن كل إنسان فى القرية يعرف أنه إذا هاجمه المذءوب عليه أن يحاول إحداث إصابة ما به .. فإذا نجا بعد ذلك بدأنا فى البحث عن صاحب هذه الإصابة .. ويتم إعدامه بنصل من الفضة ..

- وهذه اللفافة ؟

- هذا الرجل يُدعى (إيدو) .. هاجمه مذءوب فى الشهر الماضى بين الأحراش .

وقد استطاع أن ينتزع منه مخلبًا ثم فر بجلده .. فى الصباح وجد فى جيبه بدل المخلب شيئًا آخر .

- مثل .. بعض الشيكولاته مثلًا ؟

فتح (أستبان) اللفافة ببطء .. كان إصبعًا مجعدًا .. إصبعًا آدميًا يحيط به خاتم ذو فص أزرق ..

لم يحتج (إيدو) لجهد كبير فى البحث عمن فقد إصبعه فى القرية .. بل هو لم يحتج حتى إلى ترك بيته .. إن هذا الخاتم هو خاتم زوجته !!

* * *

٥ - إيكاترينا ..

صحت فى ذهول :

- ياللهول !

قال (جوستاف) وهو يبلع ريقه :

- هذا هو ما يقولونه .. أنا لا أصدق لكن قصتهم محبوكة إلى حد مرعب ..

قلت فى حنق :

- وطبعًا قتل زوجته بنصل فضى ..

- طبعًا ..

- وهكذا يستطيع أى سفاح أن يقتل زوجته ويقطع إصبعها ثم يخرج ليصيح فى القرية أنه اكتشف أنها مذءوبة وأنه نفذ فيها قصاص السماء !

التفت (جوستاف) بشكل تلقائى إلى الرجلين لينقل لهما وجهة نظرى ، فصرخت :

- لا يا أحمق !.. لن نخرج أحياء من هنا !

فتوقف عن الكلام .. لكن الرجلين خمنا ما قلت أو كادا .. اللعنة على لغة الإيماءات هذه !.. ولمحت نظرة غضب فى عينى (إيدو) .. وتحسست يده القذرة نصل خنجره المعلق فى حزامه .

- أهنئك على حماسك فى الترجمة !.. حاول أن تغير الموضوع ..

وعاد (أستبان) يتحدث بصوته العميق الغليظ ، فى حين حزم (إيدو) لفافته وأعادها لجيبه وهو يرمقنى بنظرة نارية ..

قال (جوستاف) :

- منذ عام نجح (ستيفانو) فى قطع رجل مذءوب بفأسه .. فى الصباح تحولت الرجل المخلبية المشعرة إلى رجل إنسان ، وفى نفس اليوم وجدوا ابن العمدة وقد فقد ساقه فى حادث .. بالطبع نفذ أبوه الحكم بنفسه ..

- ياللبشاعة !..

- المذءوب الجديد (بيلاسكو) لم يستطع أحد حتى الآن أن يحدد هويته أو يحدث به إصابة ما ..

وفى هذه اللحظة وقعت عيناى على .. على أروع ما رأيت فى حياتى !

إن الكلمات لن تنجح فى التعبير عن وقع كل هذا الجمال على روحى .. أحتاج إلى لغة أرق وأكثر جمالًا .. ربما هى الموسيقا ، فتاة سوداء العينين والشعر والملابس تقف جوار (أستبان) وتنظر إلىّ فى رقة نظرة ثابتة أذابتنى من الخجل ..

قالت (لأستبان) شيئًا ما فرد عليها بفظاظة .. يا له

من و غد !.. وقال (لجوستاف) شيئا آخر وقد بدا عليه الاشمئزاز .

قال (جوستاف) :

ـ هى (إيكاترينا) ابنة صاحب الحانة .. قالت إنها تريد إخبارك بشيء لكن (أستبان) زجرها وقال لها إن النساء يصمتن حين يتكلم الرجال ..

ـ الوحش !

ثم فكرت قليلا .. فخطرت لى فكرة .

ـ (جوستاف) ..قل لى .. بالطبع فى هذه الحانة مكان للمبيت .

ـ طبعا ..ككل حانة قذرة فى العالم ..

ـ إذن قل لصاحب الحانة إننا نطمع فى المبيت عنده .

ـ لكن لماذا ؟.. هناك الخان .. والكنيسة ، و ...

ـ لا !.. أريد المبيت هنا ..

ـ هل سال لعابك عند رؤية أول فتاة فى القرية ؟ .. إنها ليست ....

ـ لم أزعم هذا لحظة .. فقط أريد أن أكون جوارها فى هذه الليلة .

ليلة مسخ الذئب ..

ـ يا لها من رومانسية !.. كم أنتم ملتهبو العواطف يا أبناء البحر المتوسط !

ونادى صاحب الحانة وأخبره برغبتى .. فهز هذا الأخير رأسه مرحبا .. وأشار إلىّ أن أصعد معه سلالم خشبية نخرة إلى ..إلى أقذر حجرة رأيتها فى حياتى .. منتهى البؤس والفقر والضعة .. حتى دورة المياه كانت عبارة عن جردل صدئ جوار الفراش الذى لم يكن أفضل حالا ..

ـ والآن اسمع يا رفيق (رفعت) ..

ـ أعرف ما ستقول .. اذهب أنت ونم فى الخان أما أنا فباق !

ـ لقد وجدت مصيرك ! ..

قالها وهو يبصق على الأرض التىُ لم تزدها بصقته قذارة فى الواقع .. وعلى الباب استدار ليسألنى سؤالا أخيرا ..

ـ والترجمة ؟

ثم هز رأسه مستدركا :

ـ آه ! .. نسيت لغة الإيماءات والنظرات !

وأغلق الباب قبل أن أرد عليه بما يناسب وقاحته !

جلست على الفراش وتأملت المكان فى اشمئزاز .. هل أنا مراهق إلى هذا الحد ؟ أم أنه حافز خفى جعلنى أفعل ما فعلت ؟..

دق الباب فوثب قلبى فى فمى .. تخيلت يدها النحيلة

الحساسة الباردة تدق الباب لتقول شيئًا ما بالرومانتية يقتلنى قتلًا ..

فتحت الباب ملهوفًا فوجدت صاحب الحانة البدين يضحك لى كاشفًا عن أسنانه النخرة .. أرق ابتسامة استطاع أن يرسمها على وجهه .. أعوذ بالله ! .. ناولنى منشفة ممزقة وصابونة ملوثة بالشحم ثم انحنى ليوحى إلىّ أن الخدمة ممتازة .. وانصرف !

واضح تمامًا أنــه هو الــذى سيرعانـــى فى هذه الغرفة ! ..

كانت الساعة الآن الثانية ظهرًا .. لم يكن هناك داع لإضاعة اليوم كله فى حظيرة الخنازير هذه ، لهذا أزمعت أن ألحق (بجوستاف) فى الحانة بالطابق السفلى كى نقرر ما نفعله بقية اليوم ..

الباب يدق ثانية .. لاشك أن الوغد سيعطينى هذه المرة فأرًا ميتًا لوجبة الغداء .. اتجهت إلى الباب وفتحته فرأيت (إيكاترينا) ! ..

ولكن قولوا لى .. هل يوجد أجمل ولا أنقى من هذا ؟

- جئت .. أقول ..

هل أنا أحلم أم أنها تتحدث الإنجليزية ؟ .. إنجليزية رديئة فى الواقع لكنها مفهومة ..

- أنت .. بالذئب .. تهتم ؟

- أنا نعم ..

خيل لى - لا أدرى لماذا - أنها ستفهمنى أكثر لو تحدثت بلغة إنجليزية ركيكة وهو ردّ فعل تلقائى نتخذه حتى فى العربية حين يحدثنا أحد الأجانب بلغتنا ..

- الذئب .. هو هنا ..

- أين ؟

- فى .. الحانة .. هذه ! ..



هل أنا أحلم أم أنها تتحدث الإنجليزية ؟.. إنجليزية رديئة فى الواقع لكنها مفهومة ..

٦ ـ من هـو ؟

قالت وهى ترتجف كالورقة :

ـ أنا هاجمنى من شهر .. فى المخزن بفعل .. أنا .. أهرب .. أنا أجرح ننب .. هو .. جرح فى رأس .

إنها قصة مشوقة ! .. إذن لقد هاجمها المذءوب الشهر الماضى وقد استطاعت أن تفرّ وأن تجرحه فى رأسه ، وهكذا حين أشرق النهار كان هناك واحد مجروح الرأس تعرفه هى .. وهو الآن يشرب الخمر فى الطابق السفلى من الحانة ! ..

ـ ومن هو ؟ ..

ـ هو .. لا أعرف .. يلبس .

ـ غطاء رأس ؟

ـ نعم .. نعم .. غطاء رأس ، (استبان) يلبس .. (ميلو إنستادت) يلبس .. (كوثار يلبس) .. (جورج) .. (ستيفانو) .. رأس ..

ـ هذا طبيعى يا صغيرتى ، فى هذا الطقس حتى الشيطان نفسه يلبس غطاء رأس ..

ـ لا .. لا .. هو .. هم أبدا يخلعون لا ..

هل فهمت هذا الجزء ؟ .. إنها نقطة هامة .. من الطبيعى أن الرعاة يشربون ويسكرون ويتشاجرون ..

لكن هناك خمسة لم يحدث طيلة الشهر الماضى تحت أية ظروف أن استطاعت رؤية رءوسهم عارية ، هذا التشبث الغريب بتغطية الرأس أثار شكوكها ..

فكرة ذكية .. لكن هناك حقيقة لا يجب تناسيها ألا وهى أن الفتاة مخبولة .. مخبولة تمامًا ! .. إذا تغاضينا عن جمالها وضعفها ورجفتها ..

ـ تساعدنى هل أنت ؟

ـ نعم يا صغيرتى .. أساعدك أنا سوف ! .. لكن كيف أتخلى عن قناعاتى وثقتى بالعلم لأضع ثقتى فى قصتك الملفقة عن جرح الرأس .. القصة التى ستؤدى إلى ذبح أول مسكين يتصادف أن عارضة الشباك ضربت رأسه أو قذفه طفل شقى بقالب طوب ؟

ربت على كتفها مطمئنًا .. وأوصلتها للباب فخرجت وهى ترسم علامة الصليب ..

نزلت إلى الحانة .. الطابق السفلى فوجدت (جوستاف) جالسًا على مائدة مع (استبان) وقد صار ثملًا تمامًا ، جلست على نفس المائدة ومضيت أتأمل وجوه الرجال الخشنة وهم يصخبون ويمزحون مزاحًا فظًا سمجًا كله لكمات وشتائم ،أحدهم هو المذءوب كما قالت هى ..ولكن من هو ؟ .. أى أسماء ذكرتها ؟ .. إن هذه الأسماء

لا تعلق بالذاكرة .. (جورج) قالت .. (وستيفانو) .. ثم .. ثم .. (كثار) .. كلا .. (كوثار) .. ثم (ميلو) .. بقى واحد ، (إستبان) .. بالطبع هو (إستبان) الجالس على هذه المائدة معنا .. تأملته وتأملت وجهه المشعر وهو يتحدث مع جوستاف ، مفهوم تمامًا أن تعتقد الفتاة أن هذا الرجل مذءوب .. فهو لا يحتاج لأنياب ومخالب كى يغدو مرعبًا .

ولكن كيف ولدت أسطورة المذءوب ؟ .. إن نفس النغمة تتكرر بشكل أو بآخر فى رائعة (ر . ل . ستيفنسون) (الدكتور جيكل والمستر هايد) ، الرجل الطيب الشريف الذى يتحول فى ظروف معينة إلى شيطان مفترس .. هل هى فلسفة إنسانية ما تتحدث عن أن لكل منا جانبين : أبيض وأسود ؟ !

هل هى محاولة ساذجة لتفسير حالات الانفصام التى يتحول فيها الشخص إلى نقيضه دون سبب واضح ؟! .. على كل حال فالفكرة مفزعة ولا أنكر هذا لحظة .. وأعتقد أن تحول (جوستاف) أمام عينى إلى مسخ ذئب لكفيل بجعلى أخر ميتًا دون أن أنطق بحرف ! ..

الساعة الآن الخامسة مساء ..

اقتربت من (جوستاف) ـ ورائحة الخمر من فمه تكاد تقتلنى ـ وقلت له :

- هل هناك طريقة ما تجعل هؤلاء الرجال يخلعون أغطية رءوسهم ؟

- ماذا ؟ !

- أريد رؤية رءوسهم عارية ! ..

- هل جننت ؟ .. أولًا قررت فجأة المبيت هنا .. والآن تريد رؤية رءوس الرعاة .. إن الصقيع ...

- لا .. لا .. لم يتجمد مخى ، أرجوك افعل شيئًا ! ..

- دعنى أفكر ..

- يمكنك مثلًا أن تدعوهم لشرب نخب ما وأن يخلعوا قبعاتهم فى صحة هذا النخب .

- هل تمزح ؟ ! .. لسنا فى ناد بلندن .. إن هؤلاء السادة أبعد ما يكونون عن الرقى ..

- إذن فلنحضر أيقونة أو شيئًا مقدسًا لنجبرهم على خلع أغطية رءوسهم تحية له ..

- إنهم لا يعرّون رءوسهم فى الكنيسة نفسها ..

- إذن ..

وهنا نهض (جوستاف) مترنحا حاملًا الزجاجة فى يده .. وقال :

- هناك طريقة أسهل وأضمن ..

وصاح بالرومانية بشيء ما .. فتعالت صيحات

الدهشة .. ورأيت كل العيون تنظر إلىّ فى كراهية أو احتقار أو شك ! .. وصاح أحدهم مستنكرًا ..

- ماذا قلت لهم أيها المعتوه ؟

- قلت لهم ما تريد دون لف أو دوران .. قلت لهم إن السيد القادم من مصر يرغب - بعد إذنكم - فى مشاهدة رءوسكم عارية !!

- يا لك من أحمق !

لقد كان ثملًا .. ووضعنى فى موقف ليس محرجًا فقط بل هو خطر على حياتى أيضًا .. كلهم ينظرون إلىّ وقد كوروا قبضاتهم .. هناك من اعتبرها إهانة وهناك من اعتبرها حماقة وهناك من اعتبرها نزوة ، واحد فقط - بلا شك - أدرك أننى أعرف كل شيء !

اقترب (إستبان) منى وهو يرمقنى بنظرة نارية .. ثم ضرب المائدة بقبضته ، وشرع يصرخ بكلام كثير أدركت بصعوبة أنه موجه لى ..

قال (جوستاف) :

- إنه يقول إنك رقيع وسمج وابن ...

- أنا أفهم هذا الجزء ! ..

قلتها وأنا أرتجف ..

- ويقول إنه يطلب تفسيرًا ..

ابتلعت ريقى .. وتحاشيت نظرات الرجال النارية ، وقلت :

– قل له أن يجلس لأشرح له ، بشرط أن يكون هذا دون أن يسمعنا أحد ..

نقل له (جوستاف) معنى كلماتي ، فتوقف لحظة يرمقنا في شك وكراهية .. ثم حزم أمره .. فالتفت إلى الرجال وأمرهم بشيء ثم إنه سحب كرسيه وجلس على المائدة أمامى ..

وفى عبارات سريعة نقلت له ما قالته لى الفتاة فى غرفتى .. وقلت له إننى أشك فيه .. وإننى أطالب بكشف الأوراق قبل أن يحل الليل ..

قطّب جبينه ورشف جرعة من زجاجة (جوستاف) ثم مسح شاربيه بظهر يده المشعرة .. ومضى يحدق فى وجهى فترة ثم نهض .. وصرخ بأعلى صوتــه فى الرجال ..

– (ستيفانو) !!

فأتى له شاب على شيء من الوسامة يربط رأسه بمنديل قذر ..

– (كوثار) !!

نهض رجل بدين قصير القامة من مقعده وجاء لمائدتنا ..

– (ميلو إنستادت) !

فأفاق (ميلو) من إغفاءته القصيرة على مائدة البار وجاءنا وهو يصلح غطاء رأسه المصنوع من فراء الثعالب ..

– (جورج) !!

فجاء شاب ملتح يضع على رأسه غطاء من الجلود ، التفت (إستبان) إلى باقى الرجال وقال شيئًا فساد التوتر .. ونهض أحدهم لكى يغلق الباب .. باب الحانة ..

وبدأ الرجال الذين ناداهم يشمرون عن أذرعتهم .. فقد فهموا أنه ناداهم لكى يفتكوا بى ! وهو أمر وارد بالنسبة لى لأن كلامه الكثير بالرومانية قد يكون معناه : أن هذا السيد يقول إنكم مذءوبون فخذوا بثأركم منه !

التفت (إستبان) إلىّ وقال كلامًا ما .. ثم أشار إلى الرجال ليجلسوا حول المائدة .. ثم شرع يتكلم بصوته العميق ضاغطًا على كل حرف ..

قال (جوستاف) مترجمًا :

– إنه يحكي ما قلته أنت .. ويقول لهم يا رفاق .. إن المذءوب هو أحد الخمسة الجالسين على هذه المائدة ..
إنه يدعوهم لكشف رءوسهم ويقسم إنه سيفجر رأس من لا يفعل برصاص بندقيته ..

وفى بطء واستسلام بدأ الرجال يعرّون رءوسهم ..
الصمت يسود المكان .. والحلوق جافــة تتــرقب ما سيحدث .

تعرّت أربعة رءوس .. ثم في حركات درامية مد (استبان) يده لغطاء رأسه وانتزعه ووضعه على المائدة أمامه .. لو كانت الفتاة كاذبة - في موضوع الجرح - فسأكون في موقف عسير ..

كانت كل الرءوس سليمة ..

رأسان فقط هما رأسا (ستيفانو) و (مليوانستادت) كان بهما جرح .. جرح قطعي طويل مغطى بخصلات الشعر ، صاح الرجال في إثارة .. في حين أخذ الرجلان يصيحان في هلع بكلمات ما .. طبعًا كل منهما يشرح لهم أين وكيف أصيب بهذا الجرح .

عاد (استبان) يتكلم .. أن هذا الرجل قوى الشخصية وله نفوذ هائل في قومه ، صيحات الموافقة تتعالى في حين ازداد الرجلان تعاسة .. نظرت إلى (جوستاف) - الذي جرفته الأحداث فلم يعد يترجم - متسائلا ، فقال :

- يقول (استبان) إن الموقف صار أكثر وضوحًا .. وإننا سنجلس كلنا هنا طيلة الليل حتى يتحول أحد الرجلين إلى مذءوب .. وأن السماء هي التي ستحسم القرار ..

- ولكن كيف يقتل المذءوب عندئذ ؟

- أول علامات التحول هي احمرار حدقتي العينين .. وهو سيراقبهما كالصقر بانتظار أول بادرة من أحدهما عندئذ سيذبحه بسكين الفضة قبل أن يكتمل تحوله !

★ ★ ★

٧ - المقـــابلة ..

أخذت الدقائق تمضي بطيئة مملّة ونحن جالسون في الحانة ملتفون حول (ستيفانو) (ومليوانستادت) وهما عاريا الرأس باكيان يرتجفان ..

الدقائق تمضي .. بطيئة ..

فجأة صاح أحدهم بشيء ما .. فالتفت الجميع إلى (ميلو) ..

- يقولون إن عينيه احمرّت !

بالفعل كانت عيناه محتقنتين بالدم .. لكن الاحمرار كان في الملتحمة .. بياض العينين .. وهذا - بالطبع - نتيجة لكثرة البكاء مع كل الحرارة والدخان والجو الخانق المحيط به ..

- لكن هذه ليست حدقته .. إنها الملتحمة .

- وهل تتوقع من هؤلاء الرعاة معرفة الفـــارق التشريحي بين الحدقة والملتحمة ؟...

إنها عين حمراء .. وهذا يكفي ! ..

تصايح الرعاة في حماسة وقد صرعتهم نشوة الموقف في حين تجمّد (ميلو) في مقعده وقد بدا عليه هلع لا يوصف .. كالفأر الذي وقع في المصيدة ويرى ألا داعي لإضاعة لحظاته الأخيرة في المقاومة ..


وهنا سمعت صوت زئير وحشي .. رفعت رأسي فرأيتني أمام المذءوب !!

شعرت بالغثيان .. وبأنني على وشك إفراغ معدتي ، فتحاملت على نفسي متجهًا للباب .. ناداني (جوستاف) :

- ماذا هنالك يا رفيق ؟

- قيء !..

- والمذءوب ؟

- ألستم تحتجزونه هنا ؟ ..

وفتحت الباب الخشبي .. وفي الخارج .. كان الجليد وهواء الليل البارد .. شعرت أنني أحسن حالًا ، لكن في أعماقي كان شعور من الندم على كل هذا الذي تسببت فيه .. ربما أدت حماقتي إلى مذبحة .. لكن كان هذا هو الحل الوحيد الذي وجدته لإنقاذ حياتي أنا من المأزق الذي أدت بي إليه حماقة (جوستاف) .. وطبعًا كانت حماقة (إيكاترينا) هي التي بدأت سلسلة الحماقات هذه التي ستؤدي إلى ذبح (ميلو) أمام عيني ..

كان صخب الرجال يتعالى داخل الحانة خلف النافذة .. وكنت أدرك أن عليّ أن أجد مخرجًا ما .. ولكن ما هو ؟! .. لا أحب أن أرى إنسانًا يموت لأنه أصيب بالتهاب في الملتحمة .. ولكن كيف أمنع ذلك ؟

وهنا سمعت صوت زئير وحشي .. رفعت رأسي فرأيتني أمام المذءوب !!

هل سقط أحدكم فى قبضة مذءوب من قبل ؟ ! .. إن الذين عاشوا هذه التجربة يمكنهم تجاوز هذا الجزء .. أما سعداء الحظ الذين لم يحدث لهم هذا فلهم أقول إنها تجربة شنيعة ! .. أن ترى أمامك كائنًا عملاقًا يرتدى ثيابًا بشرية لكن وجهه وجه ذئب ضخم .. ويداه مخالب ذئب .. وصوته صوت ذئب .. ويقف على قدميه ، عيناه حمراوان كالدم .. وفمه مفتوح يكشف عن أنياب بيضاء لامعة .. وصدره يموج بصوت حشرجة جهنمية ، وهذا الكائن يهاجمك أنت !!

ماذا تفعل ؟ ! .. ستصرخ .. لكن أليست هذه صرخات نهاية أكثر منها صرخات استغاثة ؟ .. حاول أن تهرب فوق الجليد المنزلق لكنه حتمًا أسرع منك ، حاول أن تركله أو تضربه لكنه صلب كجدار ..

ستسقط على الأرض متكورًا وهو يجثم فوقك كالكابوس ومخالبه تمزق لحم وجهك .. وبقوة يائسة توجه له لكمة قوية فى عينه الحمراء .. فيصرخ .. وينهض من فوقك .. وفى اللحظة التالية يحيط بك الرعاة وقد خرجوا من الحانة على ضوضاء المعركة...

... ويفرّ هذا الوحش بين الثلوج ..

هذا هو بالضبط ما حدث لى ! ..

وفى داخل الحانة أجلسونى ومسحوا وجهى بخرقة مبتلة .. وقدموا لى شيئًا فى قدح شربته قبل أن أسأل ما هو ، أحاط (جوستاف) كتفى فى لهفة .. وسألنى :

- ماذا حدث ؟
- هو ! ..
- (بيلاسكو) ؟
- نعم ..
- يا للسماء ! .. إذن هو ليس (ميلو) ؟!
- وهل شككت أنت فى ذلك ؟ !
- إذن من هو ؟! ..
- لا أدرى .. لكنى لكمته لكمة رهيبة كادت تفقأ عينه اليسرى ..

استدار (جوستاف) للرعاة وشرع ينقل لهم كلامى ، بدت معالم الخلاص على وجهى الشابين المتهمين .. فى حين أخذ الكل يثرثرون فى حماسة .. غدًا بالطبع سيكون يومًا وبيلًا على كل من تلقى طوبة أو ضربة على عينه اليسرى .. لكنهم ما زالوا يرمقوننى بنظرات الشك والتحفز ، (استبان) يشير إلىّ ويقول شيئًا متشككًا .. (جوستاف) يصرخ فيه بحماسة نافيًا ذلك الشىء .. ماذا حدث ؟

- ماذا هنالك يا (جوستاف) ؟
- لا شىء .. يرون التخلص منك الآن ! ..

- ماذا ؟
- قبل أن تقتل أطفالهم ! ؟
- أنا .. ؟ .. كيف ؟
- فى الشهر القادم .. حين تتحول إلى مذءوب ! ..
- مذءوب ؟ .. كيف ؟

نظر إلىّ نظرة ذات معنى .. وهمس :

- إنه جرحك فى وجهك عدة جروح .. ألم تلحظ ذلك ؟!

* * *

جلست فى مكانى أصغى للمناقشات والصراخ وأنا أفكر .. من الغريب أننى بالأمس فى نفس الوقت لم أكن أعرف شيئًا عن قصة المذءوب ، أليس غريبًا أننى قد انغمست - خلال أربع وعشرين ساعة - فى المشكلة إلى حد أننى أنا نفسى فى طريقى لأكون مذءوبًا ! .. يا له من تقدم !!

كنت أعرف تمامًا أن القصة لا حظ لها من الصحة .. وأن هذا الذى واجهنى فى الخارج هو شىء له تفسير علمى ، لكن المشكلة العاجلة الآن كانت هى مواجهة هؤلاء الحمقى المسعورين الذين لا يريدون سوى الدم ..

بصعوبة - رغم سكره البين - استطاع (جوستاف) أن ينقذ حياتى بأن أقنع الرعاة أن يتريثوا .. وأن يرفقوا بى ، مع التأكيد على أن الشهر القادم لن يشهدنى فى القرية

ولا فى رومانيا كلها .. بل سأكون فى مصر حيث أنكب وادى النيل السعيد بأسطورة الرجل الذئب .. أى أن رومانيا ستصدر عدوى المذءوب إلى إفريقيا كلها !!

تكفى هذه الإثارة لليلة واحدة ..

وفى تؤدة نهضت ، وفى خطوات ثابتة صعدت السلالم فلم يعترض طريقى أحد .. اتجهت لغرفتى القذرة .. وخلعت حذائى وارتميت فوق الفراش وأنا أشعر به يعلو ويهبط .. يا له من يوم ! .. يا له من يوم ! ..

الباب يُفتح فى صرير بطىء .. فليكن هذا هو المذءوب أو الشيطان نفسه .. فلن أستطيع النهوض ولا المقاومة .. إذا كان يريد افتراسى فليفعل دون أن يوقظنى .. هذا صوت (إيكاترينا) الناعم ..

- هل شيئًا تريد .. سيد ؟

قلت وعيناى مغمضتان :

- لا يا ملاكى .. لا .. شـ .. شىء .

أغلقت الباب وخرجت .. ثم فتحته وأدخلت رأسها الأسود الصغير :

- شكرًا .. من أجلى .. سيد ...

وخرجت ..

الفراش يموج بى .. لكم أنا مُتعب ..

* * *

نور النهار يدخل من الشباك ، أفتح عينىّ وأحرك أطرافى شاعرًا بالقوة التى منحتنى إياها نوم الليلة

الهادى .. لقد غسلنى هذا النوم من الداخل .. وإننى الآن لصافى الذهن إلى حد مفزع ..

نهضت إلى حوض الغسيل القذر .. وغسلت وجهى ، واختلست نظرة إلى المرآة المكسورة ، كان هناك جرحان قطعيان طويلان على خدى الأيسر ، ولكننى طبيب ولا يمكن خداعى بسهولة .. من قال إن هذين الجرحين هما آثار مخالب ذئب ؟ ..

تفتح الباب خلفى .. ورأيت الظل المحبب الذى فتننى (إيكاترينا) تحمل فى يدها صينية عليها أشياء من المفروض أنها تؤكل ، ثم وضعتها على المائدة خلفى والتفتت إلىّ دون أن ترفع وجهها ..

ـ هذا .. إفطارك هو .. سيد ..

كان شعرها الأسود منسدلاً على جبينها .. لهذا نهضت واقتربت منها وبأناملى داعبت ذقنها الصغيرة ، هتفت فى حرج باسم .

ـ أرجوك .. لا .. سيد .. أنا لست ...

أزحت الخصلة المنسدلة على جبينها .. هذا هو ما كنت أبحث عنه .. والآن يا ملاكى أنت فى مأزق مرعب ، وإنك لساذجة إذا ظننت أن انسدال شعرك يمكن أن ينقذ موقفك .

قلت فى إنجليزية رصينة وأنا أضغط على كل حرف :

ـ (إيكاترينا) ؟ ..

ـ .... ؟

ـ ما سبب هذه الكدمة حول عينك اليسرى ؟!!

* * *

٨ .. مطاردة الذئب ..

صاحت فى ارتباك وهى تعيد الشعر لتغطى عينها :

ـ هذا .. فى باب .. ضربته .. هو فى باب ! ..

أمسكت معصمها فى حزم ونزعت خصلة الشعر ..

ـ لا ياصغيرتى .. إننى أنا الذى وجهت لك هذه الضربة أمس .. حين كنت تلعبين دور المذءوب ! .. وتكفل الظلام والرعب بجعلى أتخيل قوة غير عادية لك ..

ـ أنا .. لا أفهم .. سيد ..

ـ ثم الجروح فى وجهى .. لا يمكن أن تحدثها مخالب أى حيوان .. بل هى آثار أداة قاطعة رفيعة كنت تمسكينها فى قبضتك لتحدث تأثيرًا ..

الدموع تملأ عينيها .. وكيانها كله يرتجف .. و ...

وهنا انفتح الباب ورأيت أباها صاحب الحانة يدخل ، نظرة متشككة إلى الموقف برمته ألقاها علينا .. ثم تصلّبت عيناه على وجه (إيكاترينا) .. وبالذات على .. عينها اليسرى ، ثم فجأة بدت عليه علامات الفهم ! .. أشار إليها وهتف شيئًا ما .. ثم إنه اندفع خارج الحجرة وهو يردد نفس العبارة مرارًا .. لا يحتاج المرء لكثير ذكاء كى يعرف أنه يقول : المذءوب هو ابنتى .. المذءوب هو ابنتى !!

التفت، إليها وصحت :

ـ أرجوك ! .. لا وقت للتفسير ! .. اهربى الآن ! ..

ـ لكن ..

ـ اهربى ! .. إن هؤلاء الأوغاد متعطشون للدماء ، وستكون أسعد لحظة فى حياة أبيك هى عندما تتاح له الفرصة للتضحية بك لإثبات ولائه للجماعة ! ..

ـ لكن ...

ـ لن يفهموا شيئا عن مرضك النفسى .. وسيلقون بك أرضا ويقتلونك بسكين من الفضة .

ـ لكن ..

ـ هيا .. اذهبى إلى الأب (أنطونيسكو) فى الكنيسة واطلبى اللجوء .. واعترفى له بكل شىء .. أما أنا فسأحاول أن أنقذ الموقف ، سأشرح لهم .

وهنا تعالى صوت الرجال فى الطابق السفلى .. صيحات الغضب والثورة ، إنهم قادمون فقد ناداهم المخبول ، فى سرعة ودون تردد أمسكت يدى (إيكاترينا) وفتحت الشباك ـ برغم الثلوج المحيطة به ـ وفى رفق ساعدتها على الانزلاق على طبقة الجليد العالية تحت النافذة .. ثم أشرت إليها أن تجرى .. نظرت إلىّ لحظة فى تردد .. ثم أطلقت ساقيها للريح ..

ودخل الرجال الحجرة وقد بدا الشر فى عيونهم ، وقالوا ما معناه « أين هى » بالرومانية ؟ فأشرت للنافذة ، عندئذ أسرعوا بالنزول على السلالم لملاحقتها ولم يفت (استبان) ـ بالطبع ـ أن يفتش الحجرة عدة مرات قبل أن يصدق إشارتى ، ثم نظر إلىّ نظرة شك .. ولحق بالرجال .

وجدت نفسى وحيدًا فى الغرفة وربما فى الحانة كلها ..

فتحت الباب .. وتفقدت المكان حولى .. كانت هناك حجرتان فى نفس الطابق كلتاهما مغلقة الباب ، سرت فى تؤده إلى الباب الأوَل وعالجت مقبض الباب الصدئ .. فوجدتنى فى غرفة صغيرة نظيفة نسبيًا .. على الفراش قطعة من نسيج الكانافاه لم تتم .. وعلى المائدة فى وسط الغرفة زهرية ورد رقيقة بها زهور ذابلة لا أعرف اسمها ، كل شىء يدل على أنها غرفة أنثى .. (إيكاترينا) على وجه الخصوص .. ثيابها ملقاة فى إهمال على كرسى خشبى جوار الفراش .. ثم ديوان شعر مكتوب بحروف سلافية لا تعرف حتى الوضع الصحيح للإمساك به .

كان تصرفى وقحًا وطفيليًا لكنى كنت أريد أن أعرف .. لهذا مددت يدى المرتجفة الباردة إلى حشية الفراش وقلبتها .

كان هناك كيس قماش كبير مربوط بعناية ، فتحته

ومددت يدى فيه فشعرت بشىء كالفراء وأشياء كقطع بلاستك مدببة . قلبت الكيس على الفراش فوجدت ما توقعته ..

هناك ـ على الفراش ـ ارتمى رأس المذءوب الذى هاجمنى أمس .. قناع مصنوع بإتقان غير عادي يكسوه الفراء .. والعينان حمراوان مضيئتان لكنهما تسمحان للابس القناع أن يرى من خلفهما ، وكان الفك السفلى الملىء بالأنياب متحركا ، تحفة فنية حقيقية ..

وجوار القناع كان قفازان من الفراء مزودان بالمخالب ، ثم شىء يشبه حزام النجاة فى السفن والطائرات .. عبارة عن أداة لتضخيم حجم الصدر والأكتاف حين تلبس تحت الثياب ..

ثم ـ والأهم ـ أداة قاطعة دقيقة ، ومجموعة سكاكين مختلفة الأحجام يمكنها تمزيق فيل ....

وأخيرًا صورة شمسية صغيرة لشاب وسيم حليق الوجه يبتسم فى بلاهة .

الآن أفهم كل شىء .. (إيكاترينا) هى (بيلاسكو) المذءوب الذى دوّخ القرية وأفزع رجالها حتى الموت .

هى أعدت هذه الثياب المتقنة لنفسها .. وشرعت تخرج فى كل ليلة مقمرة بحثًا عن التعس الذى يوقعه حظه العاثر



هناك ـ على الفراش ـ ارتمى رأس المذءوب الذى هاجمنى أمس .. قناع مصنوع بإتقان .

في قبضتها ، ومع كل الرعب والمفاجأة لم يكن أى واحد على استعداد للدفاع عن نفسه .. لم يحاول أى واحد على الإطلاق أن يفعل .. وفى الظلام كانت تمزقه بالسكاكين التى تخفيها معها .. ثم تفر وتعود لدورها الأصلى .. ابنة صاحب الحانة الرقيقة ، ومن حين لآخر تخبر المغفلين أمثالى بقصة المذءوب مجروح الرأس .

ولكن لماذا تفعل ذلك ؟ .. لماذا ؟ ..

* * *

ـ د . (رفعت) !

هذا صوت (جوستاف) يناديني .. لقد استيقظ الآن فقط من نومه بعد إجهاد السكر ليلة أمس ، وقد بحث عنى فى الحانة فلم يجد لى أثرًا ولم يجد أحدا يسأله .

ـ هذا أنا يا (جوستاف) .. أنا هنا ..

صعد إلىّ فى الطابق العلوى حيث وقفت فى غرفة (إيكاترينا) .. وعلى الفراش وجد ثياب المذءوب ، فصاح فى غباء :

ـ هل .. هل قتلته ؟ وسلخته أيضًا ؟

ـ يا لك من معتوه !

وفى كلمات سريعة شرحت له كل شىء ..

ـ والعمل ؟

ـ أول شىء .. سنذهب للكنيسة لنواجهها بما نعرف ..

ـ ثم ؟

ـ ثم نتدبر إخفاء الأمر أو إعلانه حسب ما يكون تفسيرها .. قد تكون قاتلة تستحق الإعدام وقد تكون مريضة انفصام تستحق العلاج ، لكن مهما كان لن نترك الأمر للعدالة الجماعية فى هذه القرية المنكودة .. يجب الذهاب بها إلى (بوخارست) بأى ثمن .

* * *

فى الكنيسة قابلنا الأب (أنطونيسكو) .. سألته همسًا عن الفتاة فقال لى إنها لم تأت .. أقسمت له إننا لن نؤذيها .. فاحتدّ غضبًا مؤكدًا أنه لا يكذب ..

إذن أين ذهبت هذه التعسة ؟ .. وهل نجح الرعاة فى الإمساك بها قبل أن أتمكن من .. علينا الآن أن نبحث عنها .

وهنا تذكرت شيئًا فأخرجت صورة الشاب الوسيم التى كانت فى حجرتها .. وقربتها من نظارة القس .

ـ هل تعرف هذا الشاب يا أبت ؟

لم يعط القس فرصة الترجمة (لجوستاف) لأنه قرب أنفه من الصورة .. وهتف :

ـ آه ! .. (ميخائيلسكو) !

ثم قال بضع كلمات أخرى .. ورسم علامة الصليب .. قال (جوستاف) :

ـ يقول إن اسمه (ميخانيلسكو) ..

ـ هذا واضح !.. أنا لست حمارًا على كل حال ..

ـ وأنه ابن العمدة .. كان مذءوبًا وهاجم (ستيفانو) ، لكن (ستيفانو) أطاح بساقه بالفأس ، وفي الصباح بدت قصة عن ظروف بتر رجله ملفقة وسخيفة لهذا أدركوا أنه المذءوب .. وقتلوه !..

ـ وبالطبع هذا الفتى كان يحبّ (إيكاترينا) ؟

دارت محادثة سريعة بينهما أدركت من خلالها أن الإجابة نعم .. إذن هذه هي القصة .. قصة حب عنيفة بين الشابين مرهفي الحس ..ثم تفقد الفتاة حبيبها نتيجة خرافة أو قصة مغرضة صاحبها (ستيفانو) ، لهذا تصمم أن تنتقم وأن تحيل لياليهم المقمرة إلى جحيم .. كأنها قالت : حسن .. أردتم مذءوبًا فلكم هذا !! ، وشرعت في كل شهر تقتل أحد الذين كانوا مسئولين عن موت حبيبها ، ثم اختارت ميتة بشعة لـ(ستيفانو) عن طريقي أنا .

كانت تعرف أن رأسه مجروح لهذا أدركت أن اختيار ليلة الأمس سيؤدي لقتله كما مات حبيبها ، ولما سارت الرياح لاكما تشتهي هي .. وكاد (ميلو) يفقد حياته ، ارتدت ثياب المذءوب وانتظرت كي تهاجم أول من يغادر الحانة .. وكنت أنا بلا فخر !..

ـ ما التفسير الذي قدمه (ميخانيلسكو) لفقد ساقه ؟

ـ قال لهم إنه فقد وعيه ليلًا في أثناء سيره في الغابة .. وحين أفاق لم يجد ساقه .. ووجد الجرح مربوطًا ببراعة كي لا ينزف ، من ثم جرّ نفسه إلى داره .. وارتمى فوق فراشه مغشيًا عليه حتى أيقظوه صباحًا ليتهموه بأنه مذءوب !

قصة غريبة صعبة التصديق ، لكن إذا تخيلنا ـ بشيء من التمادي ـ أن (ستيفانو) كان يحب (إيكاترينا) هو أيضًا .. يمكننا أن نكمل القصة .. كان يستطيع أن يضرب الفتى في أثناء سيره في الغابة ، ويقطع ساقه بالفأس .. ويضمدها .. ثم يجري للقرية ليعلن قصته المزيفة عن المذءوب ، وبهذا يتخلّص من منافسه بطريقة نظيفة وبحكم إعدام جماعي .

لكن (إيكاترينا) كانت هناك ، وقد قررت أن تكافئ القرية بمذءوب حقيقي !

* * *

آخر سؤال وجهته للقس قبل أن ننهي حديثنا كان :

ـ كيف بدأت قصة المذءوب في القرية ؟

نقل له (جوستاف) سؤالي ، فهز رأسه في إرهاق .. وابتسم وشرع يتكلم .. قال (جوستاف) :

ـ يقول إن هذا حدث من قرون ، منذ عهود القرون الوسطى ، عائلة (سخاروزان) الإقطاعية كانت تحكم البلاد بالحديد والنار .. لكن اللعنة أصابت نسلهم .. كان أطفالهم يولدون مذءوبين .. وكان المرض يبدأ باسوداد لون البول ومغص فى بطونهم .. ثم يتحولون لمسوخ ذئاب .

بول أسود ومغص ؟.. مسوخ ذئاب ؟.. إن هذا يذكرنى بشىء ما .. نعم .. هو كذا .. صحت بـ(جوستاف) :

ـ إن القصة كانت هكذا .. لكن الحقيقة أنهم كانوا مرضى بمرض له أسباب علمية وعلاج .. هذا المرض أسماه القدامى (مرض الرجل الذئب) .. اما اسمه العلمى فهو (بورفيريا) .

هذا المرض ناجم عن اختلال تمثيل الحديد فى الجسم .. من ثم تحدث أعراض عديدة منها المغص والبول الأسود ، وفى حالات نادرة تستطيل الأظفار وتبرز الأنياب ويتجعد الجلد ، تصير الحواجب كثيفة والشفاه مشققة والعينان حمراوين .. ثم يتجنب المريض الشمس لأنه لا يتحملها(*) !!..

ـ باختصار يتحوّل إلى ....

(*) حقيقة .

ـ يتحول إلى ذئب بشرى ! .. وبمرور الوقت تولد الأسطورة .. وتعيش فى النفوس ، ويستغلها بعضهم لقتل زوجته أو منافسه فى الحبّ ، أبدًا لم يوجد على الأرض رجال ذئاب .

هتف (جوستاف) فى جزع :

ـ رائع ! .. ولكن هلا اختصرت هذه المحاضرة العلمية إلى أن تنقذ الفتاة ؟

يا الله ! .. لقد نسيتها تمامًا .. غمرتنى نشوة أن أجد تفسيرًا هذه المرة لهذا اللغز من ألغاز التاريخ ، وللحظة ظننت أننى خليط من (شيرلوك هولمز) و (لوى باستير) .. وفاتنى تمامًا أن الوقت غير مناسب لهذا ..

ـ فلنسرع ! .. واشكر لنا الأب (أنطونيسكو) بشدة ! ..

* * *

عند المقابر وجدناهم .. الدماء تلطخ الجليد الأبيض .. وهم جميعًا واقفون فى صمت وقد نكسوا رءوسهم .

على الثلوج كانت ممدّدة وشعرها الأسود الجميل ينتشر حولها ملطخًا بالدم والثلج .. وفى صدرها كان نصل طويل غائصًا إلى نصفه .. نصل من الفضة .. فى حين وقف قاتلوها حولها يلهثون فى إعياء .

لقد تأخرنا كثيرًا .. كثيرًا جدًا .



على الثلوج كانت ممددة وشعرها الأسود الجميل ينتشر حولها ملطخًا بالدم والثلج ..

وعلى قدميها ارتمى أحدهم يبكى ويغسلها بدموعه ، كان عارى الرأس وفى فروة رأسه جرح قطعى طويل .. لقد فقد (ستيفانو) حبيبته الرقيقة أمام عينيه وهو الذى فعل كل الفظائع التى فعلها لتكون له وحده .. لكننى لا أشعر بأى نوع من الرثاء له .

أخذ (جوستاف) ينشج فى صمت ، وسالت دمعتان دافئتان على خدى سرعان ما تحولتا إلى ندفتين من الثلج جوار فمى .

ودون كلمة أخرى تأبط (جوستاف) ذراعى وأخذنى بعيدًا عن هذا المشهد المروّع .

لقد انتهت أسطورة الرجل الذئب .. انتهت للأبد ، لكننى لست فخورًا على الإطلاق بدورى فيها .. لست فخورًا على الإطلاق .

والشمس تغرب فوق المقابر فى سكون .

* * *

٩ ـ الخاتمة ..

فى مطار (بوخارست) صافحت (جوستاف) وشكرته على كل شىء ، ثم إننى طلبت منه أن يكتب لى باستمرار .

تحسس الجرح الذى فى وجهى وهتف باسمًا :

ـ إذا تحولت إلى مذءوب يوم الخميس القادم لا تنس أن تكتب لى ! ..

لم أبتسم .. وقلت فى كآبة :

ـ أرجوك ألا تعود لهذا فى خطاباتك ! ..

ـ أوه ! .. لننس الماضى ..

أشعلت سيجارة .. وتأملت المسافرين المتجهين لصالة الجوازات .. وسألت :

ـ هل نشرت القصة ؟

ـ لا ..

ـ ولمه ؟ .. إنها مثيرة برغم كل شىء ..

ـ المكتب الثقافى فى الحزب ..

وتلفت حوله فى حذر ليتأكد أن أحدًا لا يسمعه .. ثم أردف :

ـ قالوا إن قصتى خيالية .. و .. رجعية .. ولا تخدم أيديولوجية الحزب .. ثم إنها تتهم رعاة الجنوب بالتخلف !!

ـ ربما كان هذا أفضل ..

وصافحته للمرة الأخيرة .. واتجهت لصالة الجوازات ، ناداني فى لهفة صائحًا :

ـ حاول أن تعود لرومانيا قريبًا .. تنتظرك أشياء رائعة فى قلعة الدكتور (فرانكنشتاين) !

ـ لا مفر من ذلك ! .. لكنى سأتعلم اللغة الرومانية أولاً ..

ـ وداعًا .. يا رفيق ، تحياتى لأبى الهول !

ـ وداعًا ! ..

وأقلعت الطائرة ..

كنت أظن أننى عائد إلى عالمى الهادئ الناعم ، ولم أكن أعرف أننى سأواجه كابوسًا جديدًا فى قريتى الصغيرة و .... لكن هذه قصة أخرى ..

د . رفعت إسماعيل ـ القاهرة ١٩٩٢



[تمت بحمد الله]